الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

المرجع:.....

توظيف لفظة الشمس في الشعر العربي وأبعادها الدلالية

- نماذج مختارة من الشعر العباسي-

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: علوم اللسان العربي

إعداد الطالبتين:

- حنان جودي
- وداد بلطيطن

إشراف الدكتورة:

- وردة مسيلي

السنة الجامعية **2017/2016**

بسم الله الرحمن الرحيم
إنه من سليمان وإنه

دعـــــــاء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"إِنَّ العُلَمَاء هُم وَرَثَةُ الأَنْبِيَاء، وَرَّثُوا العِلْمَ مَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِر"

اللهم نسألك علما نافعا ننفع به أهلينا أينما كانوا.

اللهم يسر لنا دروب العلم والعمل.

اللهم اجعل ما علمتنا شفيعا لنا يوم لاينفع مال ولا بنون

اللهم اهدنا واهد بنا واجعل عملنا نبراسا لكل ضال.

اللهم نسألك الخير كله لنا ولجميع إخواننا وأخواتنا.

اللهم لا تجعلنا نصاب بالغرور إذا نجحنا ولا باليأس إذا أخفقنا،

وذكرنا أن الإخفاق هو التجربة التي تستحق النجاح.

اللهم إذا أعطيتنا نجاحا فلا تأخذ تواضعنا، وإذا أعطيتنا تواضعا فلا تأخذ اعتزازنا بكرامتنا

وسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

شكر وتقدير

يقول الله عز وجل:"**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**..."**إبراهيم:07**

وعليه لا يسعنا ونحن نتقدم بهذه الدراسة إلا أن نرفع أيدينا بالدعاء والشكر لله سبحانه وتعالى أولا، على توفيقنا لإنهاء هذا البحث، ثم شكرنا وامتنانا للدكتورة "**مسيلي وردة**" التي أكرمتنا وأسعدتنا بقبولها للإشراف على هذا الموضوع، والتي أفادتنا كثيرا بتوجيهاتها القيمة والسديدة، التي خدمت موضوع بحثنا، فكانت خير مرشد ومعين.

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذين "**بن ساري مسعود**"، "**زيناي طارق**"، وإلى كل من قدم لنا العون ولو بكلمة واحدة، من قريب أو من بعيد.

فلله الحمد والمنة.

مقدمة:

الحمد لله الذي علم الإنسان البيان، فقرأ وكتب، والصلاة والسلام على رسولنا الكريم أفصح العرب، أما بعد:

إن أول ما يتبادر إلى ذهن الشاعر عندما يريد ترجمة شعوره المستمد من واقع أو خيال أو توهم، هي مفردات لغة قصيدته، فهي أوعية معانيه ووسيلة الوصول بها، وذلك وقت إثارة قريحته، فتتبادر مجتمعة مستعدة لتلبية حاجاته إلى البوح والتعبير، مستعدة لنقل ما يريد إلى المتلقي، وهذه القريحة أثيرت جراء مشهد أو موقف، سواء أكان هذا الموقف حقيقة أم خيال، ومن بين هذه المشاهد: الظواهر الكونية، حيث أخذت الشمس مكانة كبيرة في أشعار الشعراء العرب، وهو الأمر الذي جعل أسئلة كثيرة تتبادر إلى أذهاننا: ماهي المواضيع التي وردت فيها لفظة الشمس في أشعار الشعراء؟ وماهي دلالاتها؟.

وقد اتجهنا في هذه الدراسة صوب لفظة الشمس في الشعر العربي، معتمدين المنهج التاريخي الذي يعتمد على التحليل، وكان سبب اختيارنا لهذا الموضوع:

التعمق أكثر في الشعر العباسي، وإلقاء الضوء على الظواهر الكونية "الشمس"، إذ لم يُتناول هذا الموضوع في دراسات سابقة بشكل متكامل، حيث تناولوه في عصور أخرى على غرار العصر العباسي.

وذلك بهدف الوقوف على دلالات الشمس عند الشعراء العباسيين ومقارنتها بدلالاتها في الشعر الجاهلي، ومعرفة أهمية هذا الكوكب.

وتتجلى أهمية هذا الموضوع في رصد الدلالات المختلفة والمتنوعة للشمس في العصر الواحد، حيث نخوض داخل هذا البحث متبعين خطة تتصدرها مقدمة ومدخل، ثم قسمنا البحث إلى فصلين، يصب كل واحد منهما في الآخر، أما الفصل الأول فقد خصصناه للجانب النظري تحت عنوان: الشمس في الموروث الإنساني القديم ومواضيع ورودها في الشعر العباسي، والذي بدوره قسمناه إلى مبحثين: المبحث الأول تحت عنوان الشمس في الموروث الإنساني وتناولنا فيه، الشمس في الموروث الإنساني القديم، الشمس في الموروث الجاهلي، ثم المبحث الثاني بعنوان مواضيع ورود الشمس في الشعر العباسي، وتناولنا فيه،

الشمس والمرأة، الشمس والطبيعة، الشمس وأغراض الشعر، ولأن الفائدة لا تتحصل في الجانب النظري وحده فقد أكملناه بفصل ثاني، قمنا فيه بدراسة دلالات الشمس متناولين الشمس وأبعادها الدلالية، دلالات الشمس عند الشعراء العباسيين، تجليات البنية الصوتية في العينات الشعرية المتضمنة للفظة الشمس، دلالات الشمس.

وأخيرا ختم هذا البحث بخاتمة كانت بمثابة خلاصات واستنتاجات، وقد استندنا على مجموعة من المصادر كمثال وليس للحصر: ديوان المتنبي، ديوان أبو تمام، موسوعة الشعر العربي، الشعر العباسي قضايا وظواهر.

وقد واجهتنا في هذا البحث الكثير من الصعوبات والعقبات التي تواجه الباحثين عادة، منها ما يتعلق بمصادر الدراسة، كفقدان بعض الدواوين، أو صعوبة الوصول إليها، ومنها ما يتعلق بالشعر، كغزارة شعر الغزل وتشابه الصور، إضافة إلى بعض الصعوبات الخاصة.

ولكن بالإيمان والعمل، استطعنا تجاوز هذه الصعوبات وأخرجنا عمل نتمنى أن يكون في المستوى.

وفي الأخير نتقدم بالشكر الجزيل إلى الدكتورة "**وردة مسيلي**" التي لم تبخل علينا بعطائها الوفير وتوجيهاتها المستمرة.

- حنان جودي
- وداد بلطيطن

2017.04.30

مدخـــل

- لمحة عن الشعر العربي.
- تعريف الشعر العباسي.
- تعريف الشمس (معجم لسان العرب –معجم الوسيط –معجم المقاييس).

مدخل:

إذا ما قدر الله أن تتأمل وتتفحص وجه شعرنا العربي الأصيل، فإنك ولاشك ستندهش ويأخذك الإعجاب الشديد بهذا الشعر العربي الأصيل، البديل و الرائع، المميز والخلاق والمذهل، صفحات ناصعة البياض جيدة الأثر والتأثير، سطرها هذا الشعر الرفيع في جبين أمتنا العربية والإسلامية، وجبين الإنسانية جمعاء، وجبين حضارتنا العربية والإسلامية والإنسانية البديعة والمتميزة والمتألقة.

عرف هذا الشعر الرفيع طريقه من طريق شعراء عظماء كبار، تميزوا بصفات على درجات عُلا من الفكر والذكاء والموهبة والإبداع والعطاء، فكان ثمرة هذا ما نراه من أعمال عظيمة لهم، على مر عصور الشعر المختلفة، شهدها القاصي والداني وفي شتى بقاع الأرض، والتي تركت بصمات واضحة وجلية في جبين مكتبتنا العربية والإسلامية، وفي جبين الحضارة العربية والإسلامية والإنسانية على حد سواء.

ومجال الشعر في مختلف عصوره كبير ومتنوع ومتشعب كمّا ونوعا[1]، ونحن هنا نخص بالذكر الشعر في العصر العباسي، حيث حاول الشعر في هذا العصر أن يصور الأوضاع المختلفة الناجمة عن الفكر، الاجتماع، السياسة والاقتصاد تصويرا حيا.

فما كاد العصر العباسي يطل حتى كان ثورة في كل شيء، فقد كان عصرا أمميا، اختلطت فيه الثقافات وامتزجت الحضارات، وأحدث هذا الاختلاط الثقافي و الامتزاج الحضاري ثورة في الاجتماع والسياسة و الاقتصاد وكان لابد للغة أن تتطور، وللشعر أن يزدهر، ليواكب تطور العصر ومفاهيمه الجديدة، وإذا كانت العصور السابقة قد قيدت اللغة والشعر، فإن العصر العباسي منح الشعراء حرية لا محدودة.[2]

وانطلاقا مما سبق فإن الشعر العباسي هو: فن أدبي نشأ في العصر العباسي لينقل الحياة ويصورها بناء على إحساس الشاعر العباسي، ويشتمل هذا الفن على كل من العاطفة

1- عيسى إبراهيم السعدي: الأدب العباسي بين القديم والحديث، أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2013م، ص11.

2- عبد الفتاح نافع: الشعر العباسي قضايا وظواهر، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2011م، ص9.

والإيقاع والخيال، وحُصر ظهور هذا النوع من الشعر خلال الفترة الزمنية بين أواخر القرن الثالث وحتى مطلع القرن الرابع هجري، ويركز الضوء على محاولات الشعراء في نظم الأبيات الشعرية النقدية، وتوضيح الشعر وطبيعته ووظائفه.

ويمكن تعريف الشعر العباسي أيضا، بأنه الحلقة الثالثة بين حلقات الشعر العربي القديم، بعد الشعرين الجاهلي والأموي في العصر الإسلامي .

والعصر العباسي هو العصر الذهبي للإسلام و المسلمين والعرب أجمعين، وقد بلغ فيه المسلمون في العمران والبنيان والسلطان والأدب والمعرفة والعلم والثقافة ما لم يبلغوه من قبل.

وقد تنوعت أغراض الشعر في العصر العباسي بين أغراض تقليدية مثل المدح، الفخر، الرثاء، الهجاء، الغزل والوصف، وأغراض حدث فيها تطور وتجديد مثل: الخمريات ويمثلها أبو نواس، والزهديات ويمثلها أبو العتاهية، والروميات ويمثلها: أبو تمام، البحتري وأبو فراس الحمداني، والروضيات ويمثلها أبو بكر الصنوبري.

إن الأدب العباسي بنوعيه، شعره ونثره ترك لنا بصمات خالدة على مر الأيام وعصور الأدب المتلاحقة القديمة والحديثة[1].

وكما ذكرنا سابقا فإن العصر العباسي منح الشعراء حرية لا محدودة ، فانطلقوا يعبرون عن أهوائهم ومشاكل عصرهم، فعبروا عن قضايا وظواهر مختلفة ومن بين هذه القضايا: الظواهر الكونية، فتفننوا في وصف الشمس شروقها وغروبها، حيث عرّفت هذه الأخيرة كالأتي :

جاء في لسان العرب:

شمس: الشمس معروفة. ولأبكينك الشمس والقمر أي ما كان ذلك، نصبوه على الظرف أي طلوع الشمس والقمر كقوله:

1- عيسى إبراهيم السعدي: الأدب العباسي بين القديم والحديث، ص12.

الشَّمْسُ طَالِعَةُ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٌ تَبْكِي عَلَيْكَ، نُجُومُ اللَّيْلَ وَالقَمَرَا .

والجمع شُموس، كأنهم جعلوا كل ناحية منها شمسًا كما قالوا للمَفرِقِ مَفَارِق، قال الأشترُ النخعيّ:

إِنْ لَمْ أَشُنَّ عَلَى ابنِ هِنْدُ غَارَةُ لَم تَخُلُّ يَومًا مِنْ نَهَابِ نُفُوسِ

خَيْلًا كَأَمْثَالِ السُّعَالِي تُسزَّيا تعدُو بِبيضٍ فِي الكَرِيهَةِ شَوسِ

حَمِيَ الحَدِيدُ عَلَيْهِمْ فَكَأَنَّهُمْ وَمَضَانُ بَرْقٍ، أَو شُعَاعُ شُمُوسِ

والمقصود هنا بأشن الغارة أي فرقها، وابن هند هو معاوية، والسعالي جمع سعلاة وهي ساحرة الجن ويقال هي الغولة التي تذكرها العرب في أشعارها.

أما الشرب الضامرة، واحدها شارب، لقوله تعدو ببيض أي تعدو برجال بيض، والكريهة: الأمر المكروه، والشوس جمع أشوس وهو أن ينظر الرجل في شق لعظم كبره، وتصغير الشمس: شميسة.[1]

جاء في الوسيط :

(شمس) اليوم ونحوه – شموسا: ظهرت شمسه أو قويت. والدابة شموسا، وشماسا: جمحت ونفرت و فلان: تأبّى واستعصى.

ولفلان: هم به ليؤذيه، فهو شامس (ج) شمس، وهن شوامس.

(أشمس) اليوم ونحوه: شمس.

(شامسه) مشامسة، وشماسا: عاداه وعانده.

(شمس): عبد الشّمس والشّئ: عرّضه للشّمس ليجفّ ويبس.

(تشمّس): مطاوع شمسه. و تعرض للشّمس ومنع ما وراء ظهره وشحّ.

(الشامس): يقال: يوم شامس: ذو شمس.

(الشمّاس): الإباء.

1- ابن منظور: لسان العرب، تح: خالد رشيد القاضي، دار الصبح وإديسوفت، بيروت، لبنان، ط1،ج7، 2006م، ص174.

(الشّمس): النّجم الرئيس الذي تدور حوله الأرض، وسائر كواكب المجموعة الشّمسية.

(الشّمسية): نسبة إلى الشّمس ومظلة تحمل في اليد تتقى بها الشمس، وهي تطوى وتنشر.

واللّام الشمسية: هي لام المعرفة إذا أدغمت فيما بعدها من الحروف وهي التاء والثاء والدال وما يليها إلى الظاء واللام والنون، وما عداها من حروف تكون أل معها قمرية.

الشُّماس: الشديد الشموس. ومن يقوم بخدمة الكنيسة، ومرتبته دون القسيس، (سريانية)، (ج) شَمَامِسة.

(الشُّموس): النفور العسر الصُّحبة. يقال:رجل شموس، وامرأة شموس، والخمر (ج) شمس. [1]

جاء في المقاييس:

(شمس) الشين والميم والسين أصل يدل على تلون وقلة استقرار. فالشمس معروفة، وسميت بذلك لأنها غير مستقرة، هي أبدا متحركة.

وقرئ: **(وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا)** يس الآية 38.[2]

ويقال شمس يومنا، وأشمس: إذا اشتدت شمسه.

والشموسَ من الدوابَّ: الذي لا يكاد يستقر. يقال شمس شماسا. وامرأة شموس، إذا كانت تنفر من الريبة ولا تستقر عندها، والجمع شُمس قال:

شُمُسٌ مَوَانِعُ كُلُّ لَيْلَةٍ حُرَّةٍ يُخْلِفْنَ ظَنَّ الفَاحِشِ المِغْيَارِ [3]

مما سبق يتضح لنا أن الشمس في تحرك دائم، غير ثابتة ولا مستقرة في مكان واحد، وهو ما تلخص في الآية الكريمة **(وَالشَّمْسُ تَجْرِي لَا مُسْتَقَرَّ لَهَا)** يس الآية 38، وفي البيت الشعري دليل أيضا على أن الشمس غير مستقرة، ويتضح لنا ذلك من خلال كلمة "كُلُّ لَيْلَةٍ حُرَّةٍ" أي أنها تذهب وتكون غير موجودة.

1- إبراهيم أنيس: المعجم الوسيط، مصر، ط3، ج1، د ت، ص513.

2- سورة يس: الآية38.

3- أبو الحسين أحمد ابن فارس ابن زكريا: مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، د ط، ج3، 2002م، ص221-222.

الفصل الأول

الشمس في الموروث الإنساني ومواضيع ورودها في الشعر العباسي.

المبحث الأول: الشمس في الموروث الإنساني.

1. الشمس في الموروث الإنساني القديم.

2. الشمس في الموروث الجاهلي.

المبحث الثاني: مواضيع ورود الشمس في الشعر العباسي.

1. الشمس والمرأة.

2. الشمس والطبيعة.

3.الشمس وأغراض الشعر: •التشبيه •المدح • الفخر

(نماذج مختارة من الشعر العربي).

المبحث الأول

الشمس في الموروث الإنساني

1. الشمس في الموروث الإنساني القديم.
2. الشمس في الموروث الجاهلي.

1- الشمس في الموروث الإنساني القديم:

اتجه العقل البشري إلى الظواهر الطبيعية المحيطة به، النافعة والضارة، اللينة والمدمرة، التي ينبغي الوصول معها إلى الائتلاف والتواد، فجنح به خياله الواسع إلى تأليه المظاهر الكبرى في الكون، من كواكب وظواهر مختلفة، وتقرب إليها بما رآه مناسب لذلك، باحثا عن خيرها، دافعا لشرها، فجعل لكل قسم من أقسام الطبيعة المؤثرة، إلها مقدسا له أعلى ما وجد بين يديه.

ولعل أعظم كواكب المجموعة الشمسية السبعة، في نظر الإنسان القديم، كان ذلك الكوكب اللامع الذي يظهر كل صباح، معلنا بداية يوم جديد، ويغيب آخر النهار، إيذانا ببدأ مرحلة أخرى من ذلك اليوم، مما جذب الإنسان القديم إلى أن يهتم بمراقبته عند الشروق، وعند المغيب، فقد ارتبطت حياته به، تغنى به ونسج حوله أساطير كثيرة، لينزع عنها الدارسون هذا الغطاء، ولتكشف خوافي الأمور مع العلم الحديث.[1]

لفتت السماء نظر الإنسان من كل جانب، بعظمتها وجلالتها، بشمسها وكواكبها، وكل ما فيها من مظاهر الطبيعة يولد الشعور بالتصاغر أمامها، فهي تحيط بنا وتسيطر على مشاعرنا، وهكذا انبثقت الأديان من هذا الشعور.[2]

تكونت الديانة السومرية من ثالوثين اثنين أولهما يتألف من (أن) إله السماء و(إنليل) إله الجو، و(إنكي) إله الأرض والمياه.[3]

و يتكون الثالوث الثاني من (ننا) (Nanna) إله القمر، وإله الشمس (أوتو) (Utu)، أما الآلهة الثالثة و هي (إننا) (Inanna)، فهي آلهة الحب والخصب لدى السومريين والتي تقابلها "عشتار" عند البابليين.[4]

1- كمال فواز أحمد سلمان: الشمس في الشعر الجاهلي، كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2004م، ص12.

2- الهاشمي طه عبد الواحد: تاريخ الأديان وفلسفتها، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د ط، 1963م، ص73.

3- علي فاضل عبد الواحد: الشمس والقمر والزهرة في ضوء النصوص السومرية والبابلية، مجلة الأقلام، بغداد، العراق، د ط، 2000م، ص63.

4- علي فاضل عبد الواحد: عشتار ومأساة تموز، الأهالي للطباعة دمشق، سوريا، ط1، 1999م، ص22.

واحتفظت الشمس بهذا الاسم، وبأسماء ما تزال تتردد على الألسنة لتطلق عليها، ولتخرجها من دائرة كونها ذلك الكوكب اللامع في قبة السماء الزرقاء، المتسمة بتوليفة من الصفات المحورية، قد يكون من الأهمية التعرف إلى دلالتها، و أبعادها الرمزية، في إطار التعدد والتنوع، وتطورها في كل فترة، وعند كل أمة.

كان لسكان الرافدين خاصة "السومريين" و "البابليين" دور مهم و بخاصة في علم الفلك، ومتابعة كوكب الشمس وغيره من الكواكب، فكان لعبادة النيرين (الشمس و القمر) أثر بعيد، ومكانة مهمة بينهم، في وقت كان العقل البشري لم يزل في بدايته من الفكر والاعتقاد، حين كان يخطو خطواته البدائية، إبان حياته البسيطة المقيدة المحدودة.[1]

فإن الشمس جذبت نظر الإنسان القديم لما فيها من تأثير مهم في حياته وعمله، في محيط عيشه، وفي استمرار لياليه ونهاره وسنينه، فتوصل بفكره إلى أنه وغيره من الكائنات الحية، أقل شأنا منها، فعزا إليها نموه، وشفاؤه، ومرضه، وأيقن ضرورة التقرب إليها و التعبد لها، ولبقية الأجرام الأخرى، إرضاء لها، فبرضاها ينال السعادة، والخير والبركة في حياته فتقرب منها بالعبادة والتقدير وشيّد معابد لها، وقدّم لها القرابين فكان في هذه العبادة تطور كبير ورقي في التفكير، إذا قيست بالعبادات السابقة لها، التي كانت تؤدى للأحجار والنبات و الأرواح.

حيث أنّ الشمس وصفت بصفات أهلتها لتستحق العبادة، تقول الترنيمة:

إِنّكِ تُضِيئِينَ الكَوْنَ وَالجِبَالَ وَتَكْشِفِينَ الأَسْرَارِ

كُلَّ مَا خَلَقْتِهِ أَيًّا، مَلَكُ المُجْتَمَعُ الإِلَهِيُّ، أَوكُلُّهُ إِلَيْكِ

أَنتِ تُصَاحِبِينَ المُسَافِرَ عَلَى طَرِيقِهِ الصَّعْبَةِ[2]

1- كمال فواز أحمد سلمان: الشمس في الشعر الجاهلي، ص13.

2- الحوراني يوسف: البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسطي الأسيوي القديم، دار النهار، بيروت، لبنان، د ط، 1978م، ص231.

إن الشمس بصفاتها العظيمة التي نسبت إليها من طرف الإنسان القديم، تستحق العبادة، إذ أنها تعرف اللغات الإنسانية رغم اختلاف ألسنة ناطقيها.

فجاء في مطلع البيت الأول أن الشمس تضيء الكون والجبال وتكشف أسرار الحياة باعتبار أنها تزيل الظلام عن هذه الدنيا، إضافة إلى أنها تصاحب المسافر في طريقه الصعبة منذ أن فكّر في السفر لفك له هذه الصعاب.

اختلف السومريون عن البابليين في تسميتهم للشمس فأطلقوا عليها مسميات ذات دلالة واضحة، تعبِّر عن حقيقة معنى الشمس، فقد عبد السومريون الشمس تحت إسم أوتو (utu) وسمّاها البابليون شمس (shamch) و الحقيقة أن الاسم في السومرية (utu) يدل على معان متقاربة ومشتقة من طبيعة قرص الشمس مثلا: الضوء والنور واليوم، واعتبرت الشمس في السومرية والبابلية إلها مذكرا (ذكرا).

ويمثل إله الشمس الضوء المنير المنبعث من قرص الشمس كل يوم، والذي يبعث الدفء في الأرض، و يساعد على نمو النباتات.[1]

حيث تظهر في قصيدة بابلية ميزات إله الشمس (أتو) ابن إله السماء (أنو)، شمس الحقيقة الظاهرة دون زيف، صاحب القوى الخارقة والمميزة، صاحب النظر والسمع، المرتفع لعلوه في السماء المتألق في صفاته تقول الترنيمة :

ضَخْمَةٌ هِيَ أَعْضَاؤُهُ وَهُوَ فَائِقُ السُّمُوِّ مُنْذُ وِلَادَتِهِ

ابني هو أوتو ابني هو أوتو

ابني هو الشمس[2]

وصور السومريون الشمس بصور عدة، فكان خيالهم يرتقي بهم إلى السماء حيث الشمس، فنظروا إلى الإله بأنه ملك وله حاشية ومساعدون فالإله (أوتو) هو إله الشمس، ومن وزرائه نفينا (إله العدل)، ونيفسيا (إله المساواة) و (إله السماوات)، ابنه من زوجته (شفيردا).[3]

1- علي فاضل عبد الواحد: الشمس والقمر والزهرة في ضوء النصوص السومرية والبابلية، ص64.

2- الشواف قاسم: ديوان الأساطير، سومر وأكادو آشور، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1 ،1997م، ص125.

3- لعريبي محمد: الديانات الوضعية المنقرضة، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط1،1995م، ص59.

يذكر النص:

رَمَى سِينُ البَاسِلُ الزَّهرَ:

(أَيْ الشَّمْسُ) (قَالَ لِهَذَا الإِلَهُ) أَنَّ الَّذِي

جَمِيعُ أَسْرَارِ العَرَافَةِ

وُضِعَتْ فِي يَدِكَ .....

أَعْلِمْنِي إِذَنْ: كَيْفَ..... مَا يُلَائِمُ

لِلشِّفَاءِ؟ مِنْ هَذَا المَرَضِ.[1]

نسبت إلى إله الشمس مهمة التنبؤ بالمستقبل وفيما يدور حول المرضى والشفاء، وكان ذلك انطلاقا من أن الأعمال قسمت بين الآلهة، وحددت الأدوار من خلال رمي الزهر أو النرد الذي قام به الإله سين.

يمتاز الإله عادة بالقوة والإخبار بالغيب، وهو صاحب سن التشريعات، يرسم الطريق للملوك، ويراقب البشر من السماء، فـ(الشمس) الإله الذكر في الديانة البابلية والسومرية، تتجسد صورته من خلال صفاته التي يعرف بها، فهو منير الأرض و العالم الآخر، (العالم السفلي)، فكان يدعى "نور العالم" و"نور الأعالي و الأعماق"، و"نور السماوات والأرض" و"نور الآلهة"، فالإله (شمس) هو الذي يطارد الظلمات، ويقصر النهار، ويطيل الليل كما يشاء، وحياة الكون تتوقف عليه، فهو الذي يهب الحياة، وهو الذي يحيي الموتى، وهو إله العدل، ألم يمل على "أورنمو" و"حمورابي" شرائع العدالة؟ إن هذه الوظيفة التي يبدو فيها كقرص خارج من جبلين في الشرق، وهو يمسك أحيانا في يمناه بمفتاح يفتح به أبواب الشرق التي يعلو كلا منها أسد، وإلى يمناه ويسراه اثنان من الجن، وتنزل الأشعة من كتفه.[2]

ويؤكد "حمورابي" العلاقة بينه وبين الإله بالتزامه بالعبادة والطاعة، ويدعو الإله للانتقام ممن يتمرد على أوامره، فيصف نفسه في مطلع شرائعه، بأنه مطيع لأوامر الإله الشمس العظيم، فيقول:

1- الشواف قاسم: ديوان الأساطير، ص68.

2- الطعان عبد الرضا: الأبعاد المختلفة للفكر السياسي في العراق القديم، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د ط، د ت، ص47.

عَسَى شَمْسُ القَاضِي الجَبَّارِ للسَّمَاءِ وَالأَرْضِ

الَّذِي يَهْدِي الكَائِنَاتِ الحَيَّةِ إِلَى الطَّرِيقِ المُسْتَقِيمِ

عَسَى كَلِمَةُ شَمْسِ المُهْلِكَةُ تَكُونُ عَلَيْهِ عَاجِلًا.

وَفِي العَالَمِ الأَسْفَلِ عَسَى أَنْ يَجْعَلَ طَيْفَهُ يَعْطِشُ لِلْمَاءِ[1]

ولم تكن حزم أشعة الشمس التي ترسل من كتفي "حمورابي" عبثا، بل هي بمثابة القوة و السلطة التي يتمتع بها، فهي شعاره، وبمثابة رتبة عسكرية تبين مكانته في مجتمعه، بهذه الصفات أصبح "حمورابي" ملكا يطاع في بابه لمكانته المميزة الجديرة بالاحترام والتقدير.

ومن خلال كل ما سبق يتبين لنا أن الصفة المثلى التي تنسب للشمس هي العدالة والقضاء بالحق، ولا نرى هذه الصفة بعيدة عن وظيفة الشمس الطبيعية في كشف حقائق الأشياء وإزالة الغموض الذي يكتنف وجودها حين تكون الظلمة.

1- الحوراني يوسف: البنية الذهنية، ص234.

2-الشمس في الموروث العربي (الجاهلي):

عرف العرب الجاهليون كغيرهم من الشعوب السامية وغيرها عبادة الشمس قبل الميلاد، حيث دفعت تصورات كثيرة العربي في البادية إلى الإيمان بوجود قوى خفية، روحية كامنة مؤثرة في العالم الإنساني، فربط بينه وبين هذه الظواهر المحيطة به، مما دفعه إلى صبغها بهالة قدسية، ورأى العربي أن العبادة الأولى تتجه إلى التوحيد، إلا أن عوامل كثيرة أخرى على مدى الزمن الطويل تصيب العبادات و العقائد شيئا فشيئا، بكثير من التحريف والتبديل، حتى يصير الواحد اثنين، والاثنين ثالوثا، ومن الثالوث التعدد إلى ما لا نهاية.[1]

حيث تأثر العربي بعبادات الشمس عند الأسبقين، فنسج القصص حولها، وكانت الشمس إحدى أركان عبادة الثالوث الفلكي لدى العرب الأقدمين، التي تشمل القمر و الزهرة إضافة إلى الشمس، ولم يكتف العرب بعبادة الشمس والقمر، وإنما عرفوا كثيرا من النجوم والكواكب، فخروا لها ركعا سجدا، فعبدوها و أكرموا بعضها، وأصبحت تتفشى بينهم عادة التخصص في العبادة بين القبائل.[2]

وعرفت الشمس والقمر بالنيرين الكبيرين لوضوحهما في السماء، أما الكواكب الأخرى عطارد، الزهرة، المريخ، المشتري وزحل فأطلقوا عليها اسم الخنس الكنس، وما يؤكد أهمية وقدسية هذه المجموعة الكوكبية اعتماد القرآن الكريم القسم بمعبودات العرب قبل الإسلام، قال تعالى: "**فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ[15] الْجَوَارِ الْكُنَّسِ[16]**" التكوير، الآيتان (15-16).

ونظرا للمرتبة العالية التي بلغتها النجوم جعل الجاهليون يتعلقون بها، فكانوا ينسبون إليها أفعالا حادثة عنها، فيقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، كما كانوا يقرون بأثرها في الزرع والإنسان، وهي أمور أبطلها الإسلام ودعا إلى التبرؤ منها بوصفها من الأمور الوثنية.[3]

1- أجواد هتون: الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية، الرياض السعودية، د ط، 1993م، ص214.

2- سالم السيد عبد العزيز: دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، د ط، د ت، ص426.

3- عبد الرحمان إبراهيم: الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د ط، 1980م، ص45.

كما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركوهن، الفخر في الأحساب والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة" وقال: "النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها بسربال من قطران، وذرع من جرم"[1]

وأخذ الإله ذو الشرى قسطا من القداسة عند الجاهليين، ويؤكد بعض الباحثين أن الإله ذا الشرى هو الشمس عينها، حيث أن صنم الشرى موجود في البتراء على شكل حجر مربع أسود، تذبح عليه الضحايا، أما الصوفيون فقد مثلوه على شكل رجل له لحية طويلة وعلى رأسه قبعة[2]

يقول شيخو: "وكان النبطيون يعبدون الشمس عبادة خاصة، وكان لهم في عاصمتهم سلع معبد كبير لإكرامها، و كانوا يدعونها باسم آخر وهو ذو الشرى أي الإله المنير"[3]

وقد أقام عرب الجاهلية للشمس صنما بيده جوهرة على لون النار، وله بيت وسدنة وحجاب، وكانوا يأتون البيت ويصلون فيه ثلاث مرات في اليوم، ويسجدون للشمس إذا طلعت، وإذا توسطت السماء، وإذا غربت، ولهذا نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الصلاة في هذه الأوقات.[4]

استمرت عبادة الأوثان، وقدس الخلف الأصنام كأجدادهم السلف وفي ذلك يقول تعالى على لسان إبراهيم: "**إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَومِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيل الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُون (52) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِين(53)**" الأنبياء، الآيتان 52-53.[5]

وسيطرت عبادة الشمس على معظم أمور حياة الجاهلي، فأصبح يسمى الإنسان باسم ربه تبركا به، وأملا في نيل رضاه، فمن الأصنام التي تسمى بها عدد من الأشخاص،

1- مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص644.

2- حسن حسين الحاج: الأسطورة عند العرب في الجاهلية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د ط، 1998م، ص156-157.

3- الحوت سليم: في طريق الميثولوجيا عند العرب، دار النهار، بيروت، لبنان، ط3، 1983م، ص60.

4- قلعة جي عبد الفتاح: رموز وأساطير من الموروثات الشعبية، مجلة التراث العربي، دمشق، د ط، 1997م، ص62.

5- سورة الأنبياء: الآيتان 52-53.

(عبد الشمس)، وقد ذكر أنه أول من تسمى به سبأ الأكبر، لأنه أول من عبد الشمس فدعي بعبد الشمس.[1]

أما عن سبب تسمية العرب بعبد الشمس وما شاكلها، يقول الجاحظ: "ويسمون ببرج ولا يسمون بفلك، ويسمون بقمر وشمس على جهة اللقب أو على جهة المديح، ولم يسموا بأرض وسماء وهواء وماء....وهذه الأصول في الزجر أبلغ".[2]

وذهبوا إلى أن الشمس إلها مقدسا يعبد فترة من الزمن، إلى أن جاء الإسلام بنوره وهدايته، وحرم عبادة الشمس والقمر، معلنا عن بداية توحيد جديد لإله واحد في السماء، كما حرم السجود للكواكب والأصنام، وذكر الله عز وجل الشمس والقمر لأنهما أظهر الكواكب وأوضحها، قال تعالى: "**لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لله الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونْ**[37]" فصلت، الآية37.[3]

هذا وقد تحدى الله عز وجل الكفار في عبادتهم ومعتقداتهم، ليظهر لهم سوء ما يصنعون، وبطلانه وزيفه، فأتى بسورة بأكملها باسم الشمس، مقسما بها، قال تعالى: "**وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا**[1] **وَالقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا**[2]" الشمس، الآيتان 1-2. [4]

ونستدل برأي علماء الإسلام عن الحكمة من القسم "بالشمس"، قال ابن جرير: "والصواب أن يقال أقسم الله بالشمس ونهارها، لأن ضوء "الشمس" الظاهر هو النهار "وَالقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا"، قال مجاهد: تبعها... وقال قتادة: "إذا تلاها ليلة الهلال، إذا سقطت "الشمس" رؤى "الهلال".[5]

1- علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، د ت، ص55-56.

2- الجاحظ أبو عثمان عمرو ابن بحر: الحيوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ص214.

3- سورة فصلت: الآية 37.

4- سورة الشمس: الآيتان 1-2.

5- الإمام الحافظ عماد الدين ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص515.

المبحث الثانـي

مواضيع ورود الشمس في الشعر العباسي.

1. الشمس والمرأة.

2. الشمس والطبيعة.

3. الشمس وأغراض الشعر: • التشبيه • المدح • الفخر

(نماذج مختارة من الشعر العربي).

1. الشمس والمرأة:

أثَّرت المرأة بفتنتها وسحرها وأساليبها على لب الشاعر وفكره، فانبرى يصفها وصفا ماديا حسيا منطلقا من مضامين رؤيته الشعرية لها[1]، حيث احتلت المرأة من الشعر صدوره وأعجزه، تغنى بها الشعراء وتفننوا في وصفها، حتى أخذت من الشعر جزءا غير يسير.

فكان حال المرأة في الشعر العباسي صورة جميلة يزين بها الشعراء مطالع قصائدهم وعلاقتهم بها، تتخذ طابع التكريم والتقدير مرة، والتبذل والمجون مرة أخرى، فكانت المرأة ممثلة صورة الحسن الأنثوي التي تفرض نفسها بنفسها على الشاعر وكل ما تناول شعره فيما بعد، وتتبع الشعراء العباسيين ظاهرة الوصف والتغزل والمدح كدرب من دروب الإبداع والتألق، فكانوا يتغزلون بالمحبوبة، ويصفونها في أشعارهم كثيرا، فجاءت حوراء العين أسيلة الخد، هيفاء القامة، لفاء الجسم تحاكي البدر ضياءًا والشمس نورا والنجم بعدا والقضيب قدا والوردة حمرة، فيها كل ما يشتهي الشاعر شكلا وقدا ونيها، فهي مفردة الحسن شبيهة الشمس.[2]

ويأتي أبو الطيب المتنبي في طليعة هؤلاء الشعراء الذين خصصوا جزءا محددا من أشعارهم للحديث عن محبوبتهم، حيث كان المتنبي يتغنى بالمرأة ويصفها في مقدمة قصائده، فالمقدمات الغزلية في شعر المتنبي تظهر صورة جلية لتلك المرأة، فكان المتنفس الوحيد للمتنبي الذي يفصح عن حبه المكتوم للمرأة هو مطالع قصائده، يقول المتنبي:

خَرِيدَةٌ لَو رَأَتْهَا الشَّمسُ مَا طَلَعَتْ وَلَوْ رَآهَا قَضِيبُ البَانِ لَمْ يُمْسِ[3]

فالمتنبي هنا يصف قامة المرأة ورشاقتها واعتدالها.

1- وضحا محمد عواد الحلاحلة: صورة المرأة في شعر العصر العباسي الثاني في العراق، كلية الدراسات العليا الجامعية، الأردن، د ط، 1998م، ص24.

2- المصدر نفسه: ص38 (حوراء: شدة بياض بياض العين، وشدة سواد سواد العين، إبن منظور، اللسان، مادة حور. هيفاء: دقة الخصر وضمور البطن، إبن منظور، اللسان، مادة هيف. لفاء: كثيرة لحم الفخدين، إبن منظور، اللسان، مادة لف.)

3- المتنبي: الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، د ط، 1983م، ص24 (خريدة: المرأة الحيية)

وهذا نموذج آخر من تغزل المتنبي بالمرأة وتشبيهها بالشمس وهو ما يتجسد في الأبيات التالية:

رَأَيْتُ وَجْهَ مَنْ أَهْوَى بِلَيْلِ عَوَادِلِي فَقُلْنَا نَرَى شَمْسًا وَمَا طَلَعَ الفَجْرُ[1]

وفي موضع آخر ينتقل المتنبي من وصف جمال المرأة المادي إلى الوصف المعنوي حيث يقول:

بَيْضَاءُ تَطْمَعُ فِيمَا تَحْتَ حُلَّتِهَا وَعَزّ ذَلِكَ مَطْلُوبًا إِذَا طُلِبَا

كَأَنَّهَا الشَّمْسُ يُعْيِي كَفَّ قَابِضِهِ شُعَاعُهَا وَيَرَاهُ الطَّرْفُ مُقْتَرِبَا[2]

يعرض لنا المتنبي قيمة الحياء والعفة من خلال هذه الأبيات، فهي تحمل بداخلها معنى العفة وصون النفس عند المرأة العربية، وذلك من أجل عدم الوقوع في المحضور الذي يفسد بدوره هذه القيم، حيث أطلق صفة البياض على المرأة مشبها إياها بالشمس العالية التي لا يصل إليها أحد.

ولما كان الوجه جميلا، فقد أدام الشعراء النظر فيه، وتناولوا بالوصف جمال أجزائه وأحبوا لونه الأبيض الصافي، كما يرى أبو نواس:

عَنْ فَتَاةٍ كَأَنَّهَا، حِينَ تَبْدُو، طَلْعَةُ الشَّمْسِ فِي سَوَادِ الغُيُومِ[3]

ويصف أبو نواس وجه محبوبته الأبيض الذي يشع نورا كالشمس الطالعة من بين الغيوم فتضيء العالم بنورها.

وأضافوا لبياض الوجه صفة الإشراق، فشبهوا الوجه بالشمس في ضيائها كما يجسدها ابن الرومي في هذه الأبيات:

يَتَلَقَّاكَ فِي الغَلَائِلِ مِنْهَا وَجْهُ شَمْسٍ وَجِسْمُ دُمْيَةِ عَاجِ[4]

1- المصدر السابق: ص62.

2- المتنبي: الديوان، ص 97 (أعياه: أعجزه، الطرف: النظر).

3- أبو نواس: الديوان، تح: الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2002م، ص466.

4- إبن الرومي: الديوان، تح: الأستاذ أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2002م، ص488.

ويعود مرة أخرى ابن الرومي ليشبه المرأة بالشمس معتبرا أنه لا يوجد من يشبه المرأة من المخلوقات وغيرها سوى الشمس التي تتقاسم معها صفة الجمال والضياء، حيث يقول:

وَلَا خَيْرَ لِي فِيمَا أُحِبُّ وَتَجتَوِي لِأَنَّكِ مِنْ قَلْبِي كَنَفْسِي مَوْقِعَا

عَلَى أَنَّكِ الشَّيءُ الَّذِي لَا أَرَى لَهُ مِثَالًا سِوَى الشَّمْسُ المُنِيرَةُ مَطْلَعَا[1]

وهؤلاء الشعراء بالغوا في ذلك حتى جعلوا الشمس انعكاسا لهذا الوجه، تختفي إن ظهر، يصف ابن دريد وجه إحداهن وقد انعكست أشعة الخمرة عليه:

غَرَّاءُ لَو جَلَتِ الخُدُودَ شُعَاعَهَا لِلشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِهَا لَم تُشرِقِ[2]

وهنا يضع أبو نواس الشمس والمرأة في نفس الموضع، لدرجة أنه يستضيئ بوجه محبوبته في غياب الشمس فيقول:

إِنْ غَابَتِ الشَّمْسُ أَسْتَضِيءُ بِوَجْهِهِ وَيَرَى مَكَانَ البَدرِ حِينَ يَبِينُ[3]

ويتبين لنا من خلال هذا البيت أن أبو نواس يتغزل بالمرأة مستخدما صيغة المذكر ويتضح ذلك من خلال كلمة "أستضيء بوجهه".

لا يختلف الشعراء عن بعضهم البعض في وصفهم، فقد تكرر وصف المحبوبة عند الشعراء باللون الأبيض وأشعتها المضيئة، ومن بينهم ابن المعتز الذي يقول:

يُا سَارِقَ الأَنْوَارِ مِنْ شَمسِ الضُّحَى يَا مُثكِلِي طِيبَ الكَرمِ وَمُنْغِصِي

أَمَّا ضِيَاءُ الشَّمْسِ فِيكَ فَنَاقِصٌ وَأَرَى حَرَارَتَهَا بِهَا لَمْ تَنْقُصِ [4]

1- المصدر السابق: ص331.

2- أبو بكر ابن دريد الأزدي: الديوان، تح: محمد بدر الدين العلوي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د ط، 1946م، ص40.

3- أبو نواس: الديوان، ص 539.

4- ابن المعتز: الديوان، دار صادر، بيروت، ط1، 2003م، ص286. (يا سارق الأنوار: أراد بها القمر)

من خلال هذين البيتين يصور لنا ابن المعتز نور وجه محبوبته الجميل الضياء، وكأن الشمس كَسَتهُ ضياءً وحسنا، ويظهر دور الشمس الحقيقي هنا وكأن لها نور تحله على وجه محبوبة الشاعر، فهي مانحة ذات علاقة طيبة بها، ولون وجهها من لون الشمس الذي ينعكس على بشرتها لتبدو جميلة مفعمة بالصفاء، فهو هنا يتهم المرأة بسرقة النور من شمس الضحى، إلى درجة أن نور المرأة أصبح أكثر سطوعا من نور الشمس.

ومنهم من جعل المرأة تفوق البدر والشمس في حسنها، يقول الخليفة المتوكل في إحدى غلامياته، مما يؤكد مدى تأثير الجواري وجمالهن على الخلفاء:

إِنْسَانَةٌ كَالشَّمْسِ مَجْدُولَةٌ أَحْسَبُهَا لَيْسَتْ مِنَ الإِنْسِ

مَلِيحَةُ الشَّكْلِ غُلَامِيَةٌ أَحْسَنُ مِنْ بَدْرٍ وَمِنْ شَمْسِ[1]

وفي نفس السياق يقول ابن المعتز:

البَدْرُ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى نُورُهُ وَالشَمسُ مِن نُورِكِ تَسْتَمِلِي[2]

حيث يشير ابن المعتز من خلال هذا البيت أن البدر يأخذ نوره من الشمس، أما الشمس تأخذ نورها من المرأة أي أن نور المرأة يفوق نور الشمس.

ويقول أبان اللاحقي في نفس المعنى:

قَدْ أَعَارَتْ شَمْسُ النَّهَار ضِيَاءً وَجَمَالًا فَحُسْنُهَا بِالإِعَارَةِ

وأبان اللاحقي هنا لا يختلف عن ابن المعتز والخليفة المتوكل، فالمرأة في نظرهم ذات نور وضياء يفوق ضياء الشمس حتى أصبحت هي التي تعطي الشمس هذا النور.

كما شبهوا المرأة أيضا بنور الشمس الذي لا يدرك سره ولا يمكن لمسه، يقول ابن الرومي:

سُلَالَةُ نُورٍ لَيْسَ يُدْرِكُهُ اللَّمْسُ إِذَا مَا بَدَا أَغْضَى لَهُ البَدْرُ وَالشَّمْسُ

1- السيوطي: المستظرف، تح: الدكتور صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط2، 1976م، ص57.

2- ابن المعتز: الديوان، ص371.

بِهِ أَمْسَتِ الأَهْوَاءُ يَجْمَعُهَا هَوَى كَأَنَّ نُفُوسَ النَّاسِ فِي حُبِّهِ نَفْسُ[1]

فهنا ابن الرمي لا يختلف عن أبو الطيب المتنبي، فشبه المرأة بالنور الذي لا يصل إليه ولا يستطيع لمسه أحد.

ويقول أبو هلال العسكري:

أُحِبُّكَ يَا شَبِيهَ الشَّمْسِ حُبًّا تَفَرَّدَ بِالتَّمَامِ فَلَا تَمَامُ[2]

وهو هنا أيضا يشبه محبوبته بالشمس في جمالها وروعتها، ويعود ابن الرومي ليصف منتهى الرقة التي ترتسم على وجوه بعضهن لسلامتها من الندوب فيقول:

عَنْ وُجُوهٍ كَأَنَّهُنَّ شُمُوسٌ وبُدُورٌ طَلَعْنَ غَبَّ سَحَابِ

سَالَمَتْهَا الأَنْدَابُ وَهِي مِنَ الرِّقَّـ ـةِ أَوْلَى الوُجُوهِ بِالأَنْدَابِ[3]

وفي قوله ضدية واضحة، فسلامتها من الأنداب كناية عن خلوها من الأشياء التي تشوه جمالها، وفي قوله "أولى الوجوه بالأنداب" كناية عن الجروح التي تسببها النظرات لرقتها.

1- ابن الرومي: الديوان، ج2، ص1207.

2- أبو الهلال العسكري: ديوان المعاني، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، ج1، 1994م، ص216.

3- ابن الرومي: الديوان، ج2، ص488.

2. الشمس والطبيعة:

لم تكن الطبيعة، إلا واحدة من الكلمات التي أكد الدارسون غموضها[1] منذ أقدم عصور التاريخ، ذلك لاتساع مدلولها، فتنوع وتعدد التعريف بها، لأن الطبيعة "كفكرة" قد تناولها الكثير بالعرض والتحليل، وهذا ما أكده الدكتور "كولونجوود" في كتابه "فكرة الطبيعة"[2].

إلا أن "هربرت ريد" يقول عنها، هي "عملية الحياة والحركة العضوية بأكملها التي تسير في الكون، وهي عملية تشمل الإنسان ولكنها لا تكترث بنزواته أو تأثيراته الذاتية أو تغيراته المزاجية".[3]

إذن فمفهوم الطبيعة هو مفهوم فيزيائي، وليس مفهوم سيكولوجي، إلا أن التفاعل الذي يحصل بين الإنسان –وهو يعيش بكنفها ومعها أو مع أحد عناصرها أو ظواهرها– يحول مفهوم الطبيعة مما هو فيزيائي إلى ما هو سيكولوجي، أي من الموضوعي إلى الذاتي.

وقد وقفت الطبيعة على مر العصور–وحتى يومنا هذا– موقفا معاديا من الإنسان، مما دفعه إلى أن يبذل الجهود في السيطرة عليها، وكان له ما أراد في أكثر من موضع واتجاه.

وعلى الرغم من هذا الموقف السلبي منها اتجاه الإنسان، إلا أنه ظل يعيش على سطحها، لا لأن الجميع –الإنسان والطبيعة– من مخلوقات الله سبحانه وتعالى، وليس لأن للإنسان القدرة على التخلص منها، حتى قيل " الإنسان نتاج الطبيعة"[4]، كما يقول "مارك هام"، وإنما لأنه بحاجة إليها، تلك الحاجة الموضوعية الذاتية على سواء، لهذا نراه يحاول منذ القدم على ترويضها، لأنه لا يستطيع الاستغناء عنها، وفي الوقت نفسه راح يتعايش معها، ليس بما هو ظاهري فحسب، بل تعداه إلى ما هو باطني من خلال الشعور بها داخل ذاته، فأصبح بالنسبة له موضوعا خارج ذاته وفي الوقت نفسه شعورا تملك ذاته وانطلق

1– علوي الهاشمي: ما قالته النخلة للبحر، دار الحرية للطباعة، بغداد، د ط، 1981م، ص35.

2– المصدر نفسه: ص35.

3– هربرت ريد: تعريف الفن، تح: إبراهيم إمام، مصطفى رفيق الأرنؤوطي، مركز الشارقة للإبداع الفكري، د ط، د ت، ص12.

4– عز الدين إسماعيل: الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي، د ط، د ت، ص260.

منها، حتى وصل ببعض الدارسين إلى اعتبار الطبيعة –بعناصرها وخاصة الصحراء والمناخ الحار والمحل والجدب– بالنسبة للشعراء العرب أحد المؤثرات الأساسية في بناء القصيدة العربية من جهة، ووحدة البيت والتكرار من جهة ثانية[1].

هذه العلاقة الجدلية بين الذات والموضوع والتي قد ربطت الإنسان بالطبيعة قد أفادته كثيرا، إذ استمد منها كينونة وحيوية وجودة، وكل محاورة له معها هي محاولة لاكتشاف ذاته هو، من خلال شحنها بالرموز والدلالات التي تبعث فيها الحيوية وتوقظ في جسدها الروح النائمة، التي تجعل الإنسان يشعر بأنها بدأت تخرج من لامبالاتها وعدم اكتراثها.[2]

وهذا مفهوم عام لها، إلا أننا يمكن أن نفصل ذلك ونحن نتناول تأثيرها في حياة الإنسان عامة، والإنسان والشاعر خاصة.

نقول هذا ونحن نعلم أن بعض الفحول في هذه الفترة قد استطاعوا أن يضيفوا إلى أوصافهم المادية للطبيعة حسا وذوقا، جعلهم يأتلفون معها ويستغرقون في نشوة جمالها ويبادلونها العاطفة بعاطفة والحب بحب.

فهذا أبو تمام والبحتري وابن الرومي يقدمون لنا عن الطبيعة صورا ذات نشاط وحياة ومباهج فاتنة، فلنستمع لابن الرومي يصف غروب الشمس وصفا تتراءى فيه المشاركة الوجدانية عل شكل لم يسبق إليه، فيقول:

إِذَا رَنَّقَتْ شَمْسُ الأَصِيلِ وَنَفَّضَتْ عَلَى الأُفُقِ الغَرْبِيِّ وَرْسًا مُذَعْذَعَا

وَوَدَّعَتِ الدُّنْيَا لِتَقْضِى نَحْبَهَا وَشَوَّلَ بَاقِي عُمْرِهَا فَتَشَعْشَعَا[3]

وقد سار بعض الشعراء على الطريق نفسه، ليس تأثرا وإنما لأنهم كانوا يعيشون الطبيعة ومظاهرها لحظة بلحظة، وكان لوصف الطبيعة في شعرهم المجال الأرحب إذ

1– المرجع السابق: ص279.

2– علوي الهاشمي: ما قالته النخلة للبحر، ص35.

3– ابن الرومي: الديوان، ج2، ص338.

"استطاعت التجربة الشعرية عبر معالجتها المختلفة لموضوع الطبيعة والتوحد معها، وان تنقلها من موقفها السلبي اللامكترث، إلى الموقف الإنساني الفني الحي المتفاعل والمتجادل مع حياة الإنسان وطموحه"[1]

فهذا المتنبي "الشاعر العباسي" قد وجد في الطبيعة ما يمكن أن يوصف، وهو الربيع وما جاد به على الأرض والإنسان والحيوان فهنا وبمجيء الربيع كبرت الأزهار وتشعشعت أغصان الأشجار حتى كادت تحجب الشمس عن الأرض:

مَغَانِي الشَّعْبِ طِيبًا فِي المَغَانِي بِمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِنَ الزَّمَانِ

فَسِرْتُ وَقَدْ حَجَبْنَ الشَّمْسَ عَنِّي وَجِئْنَ مِنَ الظِّيَاءِ بِمَا كَفَانِي

وَأَلْقَى الشَّرْقُ مِنْهَا فِي ثِيَابِي دَنَانِيرًا تَفِرُّ مِنَ البَنَانِ

لَهَا ثَمَرٌ تُشِيرُ إِلَيْكَ مِنهُ بِأَشْرِبَةٍ وَقَفْنَ بِلَا أَوَانِ

وَأَمْوَاهٌ تَصِلّ بِهَا حَصَاهَا صَلِيلَ الحَلْيِ فِي أَيْدِي الغَوَانِي[2]

وعلى الرغم من أن البحتري له قصيدة يصف فيها الربيع، إلا أن مظاهر وعناصر الطبيعة –كالشمس، النجوم والغيث...إلخ–، قد وجدت في شعره مكانا لها، فها هو يصف بركة ماء وما كان يحيط بها من عناصر الطبيعة قائلا:

تَنْصَبُّ فِيهَا وُفُودُ المَاءِ مُعَجَّلَةً كَالخَيلِ خَارِجَة مِن حَبْلِ مُجْرِيهَا

كَأَنَّمَا الفِضَّةُ البَيضَاءُ سَائِلَةً بَيْنَ السَّبَائِكِ تَجْرِي فِي مَجَارِيهَا

وَحَاجِبُ الشَّمْسِ أَحْيَانًا يُضَاحِكُهَا وَرِيقُ الغَيْثِ أَحْيَانًا يُبَاكِيهَا

إِذَا عَلَتْهَا الصِّبَا أَبْدَتْ لَهَا حُبُكًا مِثْلَ الجَوَاشِنِ مَصْقُولًا حَوَاشِيهَا[3]

1– علوي الهاشمي: ما قالته النخلة للبحر، ص38–39.

2– المتنبي: الديوان، ص541–542 (تصل: تصوت).

3– البحتري: الديوان، تح: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، د ط، 1963م، ص2418.

وقد اختص بعض الشعراء بوصف جانب أو مظهر من مظاهر الطبيعة، فها هو الصنوبري الذي دعاه مؤرخوا الأدب بشاعر الرياض، وسموا الفن الذي حلق فيه بالروضيات بل أن ديوانه بستان تتمايل أغصانه بالثمر، وتهتز نباتاته بالنور والزهور، رسم الفصول وما تنبت من زهر وثمر فلم تفته واحدة منها ولم يقتصر شعره على فصل واحد ولكنه قال في فصل الربيع:

إِنْ كَانَ فِي الصَّيْفِ رَيحَانٌ وَفَاكِهَةٌ فَالأَرْضُ مُسْتَوقَدٌ وَالجَوّ تَتُّورُ

وَإِنْ يَكُن فِي الخَرِيفِ المحل مُخْتَرِقًا فَالأَرْضُ مَحْصُورَة وَالجَوُّ مَأْسُورُ

وَإِنْ يَكُنْ فِي السَّمَاءِ الغَيْمُ مُتَّصِلًا فَالأَرْضُ عَرْيَانَةٌ وَالجَوُّ مَقْرُورُ

مَا الدَّهْرُ إِلَّا الرَّبِيعُ المُسْتَنِيرُ إِذَا أَتَى الرَّبِيعُ أَتَاكَ النُّورُ وَالنُّورُ[1]

فالصنوبري هنا وهو يصف فصل الربيع، وإن لم يذكر كلمة الشمس لكنه أشار إليها بكلمة "النور"، ففصل الربيع وفصل الصيف الذين تكون فيهما الشمس، أي الشمس تكون مشرقة، يكون الجو جميل وتنضج الثمار ويزداد الخير في الأرض أما في فصل الخريف تكون الشمس غائبة فتكون الأرض عريانة والجو مقرور.

فإن لحركة الشمس في السماء، وكذلك لشروقها وغروبها منازل عند العرب والشعراء خاصة، لأن في غروبها ظهور الكثير من الكواكب والنجوم، فضلا عن القمر المشهور عند الشعراء، أما في شروقها فإن الكون يضاء ويصبح الوقت نهارا.

والشاعر أبو تمام أحد الشعراء الذين ربطوا وصف البيئة بالشمس فقال أن كلمة الشمس وردت مرتين، مرة عندما وصف ليل المعركة، إذ أصبح على الأعداء كالنهار فقال:

حَتَّى كَأَنَّ جَلَابِيبَ الدُّجَى رَغِبَتْ عَنْ لَوْنِهَا وَكَأَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَغِبِ[2]

1- الصنوبري: الديوان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1998م، ص42.

2- أبو تمام: الديوان، تح: محي الدين الخياط، طبع بمناظرة والتزام محمد جمال، طبع مرخصا من نظارة المعارف العمومية الجليلة، د ط، د ت، ص27.

أما عند انحدار الأعداء فإن نهارهم أصبح ليلا، وكأن الشمس لم تطلع عليهم فقد قتل الجميع فقال:

لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ فِيهِ يَوْمَ ذَاكَ عَلَى بَانٍ بِأَهْلٍ وَلَمْ تَغْرُبْ عَلَى غَرْبِ[1]

كما يصف هنا أبو تمام الطبيعة في أجمل وصف فيقول:

مَا كَانَتِ الأَيَّامُ تَسْلِبُ بَهْجَةَ لَوْ أَنَّ حُسْنَ الرَّوْضِ كَانَ يَغْمُرُ

أَوَ لَا تَرَى الأَشْيَاءَ إِنْ هِيَ غَيَّرَتْ سَمُجَتْ وَحُسْنَ الأَرْضِ حِينَ يُغَيَّرُ

يَا صَاحِبَيَّ تَقَصَّيَا نَظَرَيْكُمَا تَرَيَا وُجُوهَ الأَرْضِ كَيْفَ تُصَوَّرُ

تَرَيَا نَهَارًا مُشْمِسًا قَدْ شَابَهُ زَهْرُ الرِّيَا فَكَأَنَّمَا هُوَ مُقْمِرُ[2]

يقصد أبو تمام من خلال هذه الأبيات أن النباتات من شدة خضرتها مع كثرتها قد صار لونها إلى الاسوداد فنقص ضوء الشمس حتى صار كضوء القمر.

1- المصدر السابق: ص27.

2- أبو تمام: الديوان، ص345.

3. الشمس و أغراض الشعر:

- **الشمس والتشبيه:**

نتحدث في هذا الجانب عن المواضع التي استخدم فيها الشعراء الشمس في تشبيهاتهم حيث تجاوزوا فيها حدود الواقع، وأتوا بأشعار بانت فيها المبالغة، فكانوا يشبهونها مرة بالمرأة ومرة بالمرآة وأخرى بالدينار، وغيرها من التشبيهات.

واعلم أن مما يزداد به التشبيه دقة وسحرا، أن يجيء في الهيئات التي تقع على الحركات والهيئة المقصودة في التشبيه على وجهين، أحدهما أن تقترب بغيرها من الأوصاف كالشكل واللون ونحويهما، والثاني أن تجرد هيئة الحركة حتى لا يراد غيرها فمن الأول قول الجرجاني:

وَالشَّمْسُ كَالمِرْآَةِ فِي كَفِّ الأَشَلْ[1]

أراد أن يريك مع الشكل الذي هو الاستدارة، ومع الإشراق والتلألأ على الجملة، الحركة التي تراها في الشمس إذا أمعنت التأمل، ثم ما يحصل في نورها من أجل تلك الحركة وذلك أن للشمس حركة متصلة دائمة في غاية السرعة، تسبب تلك الحركة تموج واضطراب عجيب، ولا يتحصل هذا التشبيه إلا بأن تكون المرآة في يد الأشل، لأن حركتها تدور وتتصل ويكون فيها سرعة وقلق شديد، حتى ترى المرآة ويقع الاضطراب الذي كأنه يسحر الطرف، وتلك حال الشمس بعينها حين تحد النظر وتنفذ البصر، حتى تتبين الحركة العجيبة في ضوئها فإنك ترى شعاعها كأنه يهم بأن ينبسط حتى يفيض من جوانبها، ثم يبدو له فيرجع في الانبساط الذي بدأه إلى انقباض كأنه يجمعه من جوانب الدائرة إلى الوسط، وحقيقة حالها في ذلك مما لا يكمل البصر لتقريره وتصويره في النفس، فضلا عن أن تكمل العبارة لتأديته ويبلغ البيان كنه صورته.[2]

1- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تح: محمد شاكر أبو فهر، مكتبة الخانجي، ط1، 1991م، ص244.

2-المصدر نفسه: ص245.

فالمشبه هنا هو الشمس على الإطلاق، والمشبه به هو المرآة لا على الإطلاق بل بقيد كونها في أيدي الأشل، أو على عكس ذلك كتشبيه المرآة في كف الأشل بالشمس.

ومثل هذا التشبيه وإن صور في غير المرآة قول المهلبي الوزير:

الشَّمْسُ مِنْ مَشْرِقِهَا قَدْ بَدَتْ مُشْرِقَةً لَيْسَ لَهَا حَاجِبُ

كَأَنَّهَا بَوتَقَةٌ أُحْنِيَتْ يَجُولُ فِيهَا ذَهَبٌ ذَائِبُ[1]

المهلبي الوزير شبه الشمس بالبوتقة وهي مثل الصحن الذي يجول ويدور فيه الذهب الذائب، فالمشبه هنا هو الشمس والمشبه به هي البوتقة، كما أنه شبه الشمس وأشعتها بالذهب.

وكذلك في تشبيه الشمس بالمرآة المجلوة أو بالدينار خارج من السكة قول ابن المعتز:

وَكَأَنَّ الشَّمْسَ المُنِيرَةَ دِينَارٌ جَلَّهُ حَدَائِدُ الضُّرَبِ[2]

حيث شبه ابن المعتز المرآة المجلوة أو الدينار الخارج من السكة بالشمس متى أريد الاستدارة متلألأ، متضمن كخصوص في اللون وإن عضم التفاوت بين بياض الصبح وبياض الغرة، وبين نور الشمس ونور المرآة والدينار، وكذلك لو قلت في الدينار كأنه شمس، أو قلت كأن الدنانير المنثورة شموس صغار لم تتعدى.

كما كانت المرأة أيضا تشبه بالشمس في جماله ونورها وإشراقها فقال قائل:

فَرَدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ شَمْسٌ لَهُمْ مِنْ جَانِبِ الخُدْرِ تَطْلَعُ

فَوَاللهِ مَا أَدْرِي أَأَحْلَامُ نَائِمٍ أَلَمَّتْ بِنَا أَمْ كَانَ فِي الرَّكْبِ يُوشَعُ[3]

1- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان، ص245.

2- المصدر نفسه: ص 305.

3- عبد العظيم بن الواحد بن ظافر بن أبي الأصبع العدواني: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تح: حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، د ط، دت، ص 583.

فيتبين لنا من خلال هذه الأبيات أن الشاعر أراد تشبيه المرأة الموصوفة بالشمس، لكن التشكيك الذي أدخله في كلامه وذكر يوشع بعد إغرابه في التوطئة، بإخباره بأن هذه المرأة ردت بها الشمس برغم الليل، نقل المعنى من المعرفة إلى الغرابة فلا جزم أنه استحقه بذلك دون كل من تناوله، ودون المبتدأ به.

ونسب أيضا إلى عبد الغالب هذين البيتين:

رَأَيْتُ مِرْآتَهَا تُقَابِلُهَا فَقُلْتُ وَالقَلْبُ فِي تَلَهُّبِهِ

كَأَنَّهَا الشَّمْسُ عِنْدَ مَشْرِقِهَا قَابَلَهَا البَدْرُ عِنْدَ مَغْرِبِهِ[1]

إن عبد الغالب أبدع في تشبيه المرأة والمرآة المتقابلتين بالقمرين إذا تقابلا في المطلع والمغيب، محاكمين للمحب والحبيب.

فهو هنا يشبه وجه المرأة بالشمس وفي نفس الوقت شبه صورتها المنعكسة على المرآة بالقمر.

وقال شاعر يشبه قصائده ويصفها بصفات شتى، إذ أنها سريعة الإنتشار فهي تطلع على كل بلد كما تطلع الشمس على ذلك البلد:

وَسَيَارَةٍ فِي الأَرْضِ لَيْسَ بِنَازِحٍ عَلَى وَخْدِهَا حُزْنٌ سَحِيقٌ وَلَا سَهَبُ

تَذِرُّ ذُرُورَ الشَّمْسِ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ وَتَمْضِي جُمُوحًا مَا يُرَدُّ لَهَا غَرْبُ[2]

ويشبه أبو تمام هو الآخر طلوع قصائده كطلوع الشمس فيقول:

أَإِيَّايَ جَارَى القَوْمُ فِي الشِّعْرِ ضِلَّةٍ وَقَدْ عَايَنُوا تِلْكَ القَلَائِدَ مِنْ نَظْمِي؟

طَلَعَتْ طُلُوعُ الشَّمْسِ فِي كُلِّ تِلْعَةٍ وَأَشْرَفَتْ إِشْرَافَ السِّمَاكِ عَلَى الخَصْمِ[3]

1- عماد الأصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر، تح: أدرتاش أدرنوش، الدار التونسية للنشر، د ط، ج1،1971م، ص2530.

2- شرح الصولي لديوان أبو تمام، تح: خلف رشيد نعمان، منشورات وزارة الإعلام الجمهورية العراقية، ط1، ج1، 1977م، ص342.

3- شرح الصولي لديوان أبو تمام، دار الطليعة والنشر، بيروت، د ط، ج2، 1978م، ص372.

وتطرق أبو تمام أيضا إلى تشبيه نسب ممدوحه بالشمس في العلو والسمو فقال:

نَسَبٌ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى نُورًا وَ مِنْ فَلَقِ الصُّبْحِ عَمُودًا[1]

أما أسنة الرماح فشبهها بالشمس في اللمعان نهارا وبالنجوم ليلا، فقال:

لَمَعَتْ أَسِنَّتُهُ فَهُنَّ مَعَ الضُّحَى شَمْسٌ وَهُنَّ مَعَ الضَّلَامِ نُجُومُ[2]

ومن طريف المنافسة بالغلمان، ما عاتب به الحسن بن وهم الذي كان غلامه كالشمس، أما غلام الشاعر فهو كالقمر، وهته الأبيات تجسيد لذلك:

أَعِنْدَكَ الشَّمْسُ قَدْ رَاقَتْ مَحَاسِنُهَا وَأَنْتَ مُشْتَغِلُ الأَحْشَاءِ بِالقَمَرِ[3]

ويعود أبو تمام مرة أخرى ليشبه الشمس بوجه المرأة فيقول:

فَرَدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلَ رَاغِمٌ بِشَمْسٍ لَهَا مِنْ جَانِبِ الخُدْرِ تَلْمَعُ

نَضَا ضَوْؤُهَا صِبْغَ الدُّجْنَةِ فَانْطَوَى لِبَهْجَتِهَا ثَوْبُ السَّمَاءِ المُجْزِعُ[4]

والمقصود من هذه الأبيات أنه إذا غابت الشمس فإن نور وجه المحبوبة يضيء الخدر في ظلمة الليل، كأن الشمس قد ردت في غير وقتها.

ومن كل هذا وذاك، لا يمكن أن نتحدث عن التشبيه دون ذكر البحتري الذي قال:

إِذَا أَسْفَرَتْ أَضَاءَتْ شَمْسَ دُجَنٍ وَمَالَتْ فِي التَّعَطُّفِ غُصْنَ بَانِ[5]

فلما قال "أَضَاءَتْ شَمْسَ دُجَنٍ" بنصب الشمس كان ذلك محمولا على الضمير في قوله "أضاءت" كأنه قال "أضاءت هي" وهذا تشبيه، لأن المشبه مذكور وهو الضمير في

1- شرح الصولي، ج1، ص525.

2- شرح الصولي، ج1، ص159.

3- شرح الصولي، ج2، ص512.

4- شرح الصولي لديوان أبو تمام، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنصر، بغداد، ط1، ج3، 1989م، ص433.

5- أبو الهلال العسكري: الصناعتين للكتابة والشعر، تح: علي محمد البحاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 1952م، ص463.

"أضاءت"، الذي نابت عنه التاء ويجوز حمله على الإستعارة بأن يقال "أضاءت شمس دجن"، برفع الشمس ولا يعود الضمير حينئذ إلى من تقدم ذكره، وإنما يكون الكلام مرتجلا ويكون البيت كالآتي:

إِذَا أَسْفَرَتْ أَضَاءَتْ شَمْسَ دُجَنٍ وَمَالَ مِنَ التَّعَطُّفِ غُصْنَ بَانِ[1]

حيث يكون في هذا الموضع غموض، وحذف التشبيه يحسب في الأول دون الثاني.

يقول أبو تمام في وصف الربيع:

يَا صَاحِبَيَّ تَقَصَّيَا نَظَرَيْكُمَا تَرَيَا وُجُوهَ الأَرْضِ كَيْفَ تُصَوَّرُ

تَرَيَا نَهَارًا مُشْمِسًا قَدْ شَابَهُ زَهْرُ الرَّبَا فَكَأَنَّمَا هُوَ مُقْمِرُ[2]

حيث شبه هنا أبو تمام النهار المشمس مع الزهر الأبيض بضوء القمر، وهو تشبيه حسن واقع في موقعه مع ما فيه من لطف الصنعة، وهنا التشبيه كان تشبيه شيئين مشتركين بشيء واحد.

و لم يقتصر تشبيه الشمس بالمرأة أو بالمرآة أو بالغلمان أو بغير ذلك، بل هناك من الشعراء من شبه الشمس بالحكام و السلاطين حيث قال المتنبي في هذا الصدد:

وَأَنْتَ الشَّمْسُ تُبْهِر كُلَّ عَيْنٍ فَكَيْفَ وَقَدْ بَدَتْ مَعَهَا إِثْنَانِ[3]

فالمتنبي هنا شبه عضد الدولة بالشمس المضيئة التي تبهر عيون الناس، كما شبه أيضا ولدي عضد الدولة بالشمس و ظهر ذلك من خلال قوله "وَقَدْ بَدَتْ مَعَهَا إِثْنَانِ"

و أحمد بن عبد الله البكري هو الآخر شبه ابن سنان البصري بالبدر و شبه القفا موليا بالشمس ليلة المقابلة فقال:

1- المرجع السابق: ص463.

2- أبو تمام: الديوان، ص345.

3- ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، دار النهضة مصر للطباعة والنشر الفجالة، القاهرة، د ط، 1956م، ص1444.

لَمَّا رَأَيْتُ البَدْرَ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ وَقَدْ تَعَالَى

وَ رَأَيْتُ قَرْنَ الشَّمْسِ فِي أُفُقِ الغُرُوبِ وَ قَدْ تَدَلَّى

شَبَّهْتُ ذَاكَ وَ هَذِهِ وَأَرَى تَشْبِيهَهُمَا أَجَلَّى

وَجْهَ الحَبِيبِ إِذَا أَبْدَا وَقَفَا الحَبِيبُ إِذَا تَوَلَّى[1]

هناك نوع آخر من التشبيه، على غرار التشبيه الأول، الذي قال فيه أبو تمام فيما سبق:

يَا صَاحِبَي تَقَصَّيَا نَظَرَيْكُمَا تَرَيَا وُجُوهَ الأَرْضِ كَيْفَ تُصَوَّرُ

تَرَيَا نَهَارًا مُشْمِسًا قَدْ شَابَهُ زَهْرُ الرَّيَا فَكَأَنَّمَا هُوَ مُقْمِرُ[2]

وهو هنا تشبيه شيئين مشتركين بشيء واحد.

أما التشبيه الثاني فهو تشبيه شيئ بشيء، و الذي قال فيه النابغة:

أَلَمْ تَرَى أَنَّ الله أَعْطَى سُورَةً تَرَى كُلَّ مَلِكٍ دُونَهَا يَتَذَبْذَبُ

فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالمُلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعْتَ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ[3]

فالنابغة من خلال هذه الأبيات، يمدح سيف الدولة ويشبهه بالشمس من حيث الضياء والنور، إذا طلع لم يبدو من الملوك الآخرين أحد والذين شبههم بالكواكب، لأنه عند طلوع الشمس جميع الكواكب تختفي، وهنا تشبيه شيء بشيء معنا لا صورة –تشبيه سيف الدولة بالشمس–

وأحسن ما قيل في تشبيه ضوء الشمس على الماء قول ابن المعتز:

1– إبن المعتز: طبقات الشعراء، تح: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1970م، ص643.

2– أبو تمام: الديوان، ص463.

3– محمد أحمد بن طباطبة العلوي: عيار الشعر، تح: عباس عبد الستار ونعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط2، 2005م، ص38–39.

فَبَدَى لَهُنَّ بِالنَّحْفِ المُقَفَّى مَاءٌ صَافِي الحَامِ غَرِيُّ

يَمْشِي عَلَى حَصى يَسْلُبُ المَاء قَداه فَمِنْهُ مَجْلِيُّ

فَإِذَا قَابَلَهُ ذُرَّةُ شَمْسٍ خَلَّهُ كُسِرَتْ عَلَيْهِ الحُلِيُّ[1]

شبه ابن المعتز ضوء الشمس على الماء بالحلي فكان المشبه هو نور الشمس والمشبه به هو الحلي.

وفي نفس الصدد والموضوع، يقول مؤيد الدين الطغرائي في تشبيه شمس قابلت غدير:

حَوْلَ غَدِيرٍ مَاؤُهُ دَارِعٌ وَالأَرْضُ مِنْ رِقِّهِ حَاصِرَه

قَدْ رَكِبَ الخَضْرَاء فِيهِ فَمِن حَصْبَائِهِ أَنْجُمُهَا الزَّاهِرَه

وَالشَّمْسُ إِذْ حَادَثْهُ وَقْتَ الضُّحَى حَسْنَاءُ فِي مِرْآتِهَا نَاظِرَه[2]

حيث شبه الشمس المنعكسة صورتها على ماء الغدير بالحسناء التي تنظر إلى المرآة فشبه الشمس بالحسناء.

وقال أيضا ابن وكيع:

غَدِيرٌ تَدرج أَمْوَاجُهُ هُبُوبَ الرِّيَاحِ وَمَرُّ الصِّبَا

إِذَا الشَّمسُ مِنْ فَوْقِهِ أَشْرَقَتْ تَوَهمتهُ زَرْدًا مُذَهَّبَا[3]

وقال بالحجام:

وَكَأَنَّ الصُّبحَ كَفٌّ حَلَلَت مِنْ ظَلَامِ اللَّيْلِ بِالنُّورِ عُقَدِ

1- علي بن ظافر الأزدي: غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات، تح: محمد زغلول سلام مصطفى الضاوي الجويني، دار المعارف، د ط، 1983م، ص49-50.

2- المصدر نفسه: ص50.

3- المصدر نفسه: ص51.

وَكَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي ذَهَبًا طَائِرًا مِنْ جِيدِهِ فِي كُلِّ يَدِ[1]

ففي هذه الأبيات التي قالها بالحجام والأبيات السابقة التي قالها ابن الوكيع تشبيه واضح وهو تشبيه الشمس بالذهب.

ففي الأولى تشبيه أشعة الشمس عند الشروق وهي منعكسة على الغدير بالذهب حتى يتوهم لك ذلك الغدير زردا من الذهب.

أما في الأبيات الثانية التي قالها بالحجام، فهو تشبيه مشترك أي تشبيه الشمس بالذهب، لكن اختلاف في الصياغة، حيث أنه شبه أشعة الشمس المنتشرة في كل مكان مع الشروق بالذهب المتطاير.

يقول السيد:

فَالنَّاسُ يَومَ البَعْثِ رَأَيْتُهُمْ خَمْسٌ فَمِنْهَا هَالِكٌ أَرْبَعُ

قَائِدُهَا العِجْلُ وَ فِرْعَوْنُهُمْ وَسَامِرِيُّ الأُمَّةِ المُقْطِعُ

وَمَارِفٌ مِنْ دِينِهِ مخرج أَسْوَدُ عَبدُ لَكعُ أَوكَعُ

ورَايَةٌ قَائِدُهَا وَجْهُهُ كَأَنَّهُ الشَّمْسُ إِذَا تَطْلُعُ[2]

فهنا السيد شبه الوجه بالشمس، فالمشبه هو الوجه والمشبه به هو الشمس أما وجه الشبه بينهما هو البياض والنور.

فالتشبيه دلالة على اشتراك شيئين في وصف هو من أوصاف الشيء نفسه كالنور في الشمس والوجه.

1- محمد عبد الرحيم بن عبد الرحمان بن أحمد أبو الفتح العباسي: معاهد التنصيف على شواهد التلخيص، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، د ط، د ت، ص874.

2- المصدر نفسه: ص880.

قال أبو الفضل بن العميد في غلام له، قام على رأسه يظلله من الشمس، مشبها إياه بالشمس:

ظَلَّت تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ نَفْسٌ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي

كَمْ قُلْتُ يَا عَجَبِي وَمِنْ عَجَبٍ شَمْسٌ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ[1]

وقال الناجم مشبها القهوة بشعاع الشمس:

وَقَهْوَةٍ كَشُعَاعِ الشَّمْسِ صَافِيَة مِثْلَ السَّرَابِ تُرَى مِنْ رِقَّة شجَا

إِذَا تَعَاطَيْتَهَا لَمْ تَدْرِ مِنْ فَرَحٍ رَاحَا بِلَا قَرحٍ أُعطِيتَ أَمْ قَدحَا؟[2]

وقال يزيد بن معاوية مشبها الشمس بالخمر:

وَمَدَامَةٍ حَمْرَاء فِي قَارُورَة زَرْقَاء تَحْمِلُهَا يَدٌ بَيْضَاءُ

فَالخَمْرُ شَمْسٌ وَالحَبَابُ كَوَاكِبُ وَالكَفُّ قُطْبٌ والإِنَاء سَمَاءُ[3]

1- عبد المالك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي: الإعجاز والإيجاز، مكتبة القرآن، القاهرة، د ط، د ت، ص269.

2- أحمد بن عبد الوهاب النويري شهاب الدين: نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: مفيد قميحة وآخرون، دار الكتب العلمية، ط1، 2004م، ص2489.

3- المصدر نفسه: ص2489-2490.

- **الشمس والمدح:**

غلبت روح التكسب على شعر المدح عند معظم الشعراء، حيث تجاوز فيه الشعراء حدود الواقع، وأتوا بأشعار بانت فيها المبالغة، كما بالغ الشعراء في وصف من مدحوا وأثنوا على ما فيهم من إقدام وعزيمة وخلق نبيل وشرف وحكمة، وكل صفات البطولة، كما وصف الممدوح بكثرة القوم حوله ليكون أشبه بالكوكب (الشمس) في المجموعة الكوكبية، فمن الشعراء من وصف الممدوح بالرفعة ومباراته للشمس أو شهرته الشبيهة بها، فجعل الشعراء الشمس جزءا من قصيدة المديح حيث شاركت الشاعر رغبته في تحقيق مساعيه عند ممدوحه.

يمدح الشاعر عنترة كسرى أنو شروان وهو في إيوانه، ويقترب كسرى في صورته من القمر، وقد خلعت عليه الشمس تاجا ورصعته بالنجوم، يقول عنترة:

وَقَدْ خَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ تَاجًا فَلَا يَغْشَى مَعَالِمَهُ ظَلَامُ

جَوَاهِرُه النُّجُومُ وَفِيهِ بَدْرٌ أَقَلُّ صِفَاتِ صُورَتِهِ التَّمَامُ[1]

يرى عنترة أن الشمس كامنة وراء ما يتصف به كسرى من حسب ونسب، فالشمس هنا أعلى مكانة من الممدوح، فهي مانحة التاج وهو المتلقي له، ناهيك عن طيب العلاقة المتبادلة بين الطرفين.

لكن أمية بن أبي الصلت يأتي بصورة يبين فيها أن منزلة عبد الله بن جدعان تطال الشمس في علو المرتبة، وكأنه يجلس إلى جوارها، فله منزلة عالية تصل إلى مستوى الشمس ومكانها، فيقول:

بَدَّ المَعَاشِرَ كُلَّهَا بِالفَضْلِ قَدْ عَلِمَ المَعَاشِرَ

وَعَلَا عُلُوَّ الشَّمْسِ حَتَّى مَا يُفَاخِرُهُ مُفَاخِرُ[2]

1- عنترة بن شداد: الديوان، تح: يوسف عيد، دار الجيل، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص260-261.

2- أمية بن أبي الصلت: الديوان، المطبعة الوطنية، بيروت، لبنان، ط1، 1934م، ص31. (المعاشر: مفردها معشر وهو الجماعة أو أهل الدجل).

ولم يقف الشعراء عند مضاهاة ممدوحهم بالشمس، بل تفاوتت نظرات الشعراء إلى هؤلاء مع الشمس، فمنهم من أراد لصاحبه مكانة تسمو فوق الشمس، فيرى زهير بن أبي سلمى أنه لو كان يمكن لكريم أن يقعد في مكان أعلى من الشمس، لاستحق قوم هرم بن سنان من غطفان مثل هذه المكانة، بقوله:

لَوْ كَانَ يَخْلُدُ أَقْوَامٌ بِمَجْدِهِمْ أَوْ مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَيَّامِهِمْ خَلَدُوا

أَوْ كَانَ يَقْعُدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ قَوْمٌ بِأَوَّلِهِمْ أَوْ مَجْدِهِمْ قَعَدُوا[1]

فنرى أن زهيرا يتطلع أبعد مما ذهب إليه عنترة وأمية بن أبي الصلت، فممدوح زهير فوق الشمس وأعلى منها مكانة، أما ممدوح أمية فهو في طبقة متوسطة بين الاثنين، يوازي الشمس في الارتفاع والعلو.

ويرى الشاعر الأعشى أن الممدوح مشهور، معروف لا يحتاج إلى تعريف، فهو كالشمس في ضوئها وكالقمر في نوره، مبينا أن ممدوحه يتساوى بالشمس في المعرفة، ولا يمكن لأحد أن ينكر فضل القمر أو الشمس المضيئة، فيقول:

وَإِنْ فَحَصَ النَّاسُ عَنْ سيدٍ فَسَيِّدُكُمْ عَنْهُ لَا يُفْحَصُ

فَهَلْ تُنْكَرُ الشَّمْسُ فِي ضَوْئِهَا أَو القَمَرُ البَاهِرُ المُبرصُ[2]

كما ذهب بعض الشعراء إلى المقارنة بين ممدوحهم وبين الكواكب، يقول الأعشى في مدح هودة بن علي الحنفي: لو ينادي هودة الشمس لألقت قناعها وسفرت عن وجهها وكلمته، لذهب نورها وحسنها بحسنه، ولأقر له القمر طائعا:

وَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ ثَنَاءٍ ومدحَةٍ فَأَعْنِي بِهَا أَبَا قُدَامَةَ عَامِدَا

فَتًى لَوْ يُنَادِي الشَّمْسَ أَلْقَتْ قِنَاعَهَا أَو القَمَرَ السَّارِي لَأَلْقَى المَقَالِدَا[3]

1- زهير بن أبي سلمى: شعره، تح: الدكتور فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992م، ص227-228.

2- الأعشى: الديوان، تح: لجنة الدراسات في دار الكتاب اللبناني، إشراف: كمال سلمان، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، د ت، ص105.(المبرص: الأبيض على التشبيه بالمصاب بالبرص).

3- المصدر نفسه: ص46.

ويقول النابغة في معلقته التي يمدح فيها النعمان بن منذر، واصفا إياه بالشمس، والملوك بالكواكب التي تدور في فلكه، فإذا ظهر اختفى كل الملوك، كالشمس التي لا يبدو أي كوكب بظهورها:

فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالمُلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعْتَ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ[1]

ويذكر أمية بن أبي الصلت السماء إلى جانب الشمس، حيث قال في مدح عبد الله بن جدعان وقد برز كرمه للناس كالسماء أو الشمس: هل يمكن إخفاء السماء أو الشمس الساطعة على بصير؟، فإن كان يستحيل ذلك فعبد الله بن جدعان لا تحد شهرته، ولا يحصى كرمه:

فَأَبْرِزْ فَضلَهُ حَقًّا عَلَيهِم كَمَا بَرَزَتْ لِنَاظِرِهَا السَّمَاءُ

فَهَلْ تَخْفَى السَّمَاءُ عَلَى بَصِيرٍ وَهَلْ بِالشَّمْسِ طَالِعَةً خَفَاءُ[2]

1- النابغة: الديوان، تح: سيف الدين الكاتب وآخرون، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د ط، 1989م، ص14.

2- أمية بن أبي الصلت: الديوان، ص17.

- **الشمس والفخر:**

افتخر الشعراء بأنفسهم وبقومهم، وسجلوا مكارمهم وانتصاراتهم، وقد اقترن فخرهم بالشمس في العديد من المواقف، كان من أهمها حديث الشاعر عن قوته وذاتيته، فالشاعر كعب بن سعد الغنوي يبين إلى أم قيس صفاته التي تستحق منه ذكرها والفخر بها، فهو الرجل الذي استطاع بكفه أن يغطي ويدفع الشمس عن صديق دربه، فيقول:

وَشَخْصٌ دَرَأْتُ الشَّمْسَ عَنْهُ بِرَاحَتِي لِأَنْظُرَ قَبْلَ اللَّيْلِ أَيْنَ نُزُولِي[1]

ويصف الشاعر تأبط شرا نفسه بالشمس في لحظة الحاجة إليها عند البرد، فيقول:

بَزَّنِي الدَّهْرُ وَكَانَ غَشُومًا بِأَبِي جَارُهُ مَا يُذَلُّ

شَامِسٌ فِي القُرِّ حَتَّى إِذَا مَا ذُكَّتِ الشَّعرَى فَبَرْدٌ وَظِلُّ[2]

ثم ينتقل الشعراء للحديث عن كرم قومهم في وقت تكون فيه الشمس بين الشروق والغروب، فيصف حاتم الطائي اختفاء الشمس في الشتاء حيث يعم القحط ويسود الجدب فيها ويكثر سؤال المحتاجين، فيكون قوم حاتم هم الكرماء وحدهم، ويأتي إليهم الناس طالبين العون وقد أرغمتهم الحاجة وصعوبة الحياة على مثل هذه الظروف، عندها يعرف البشر أن قومه لم يقصروا في معونتهم، ويعرفون مالهم من كرم وسخاء فيقول:

أَلَا أَرِقَتْ عَيْنِي فَبِتُّ أُدِيرُهَا حِذَارِ غَدٍ أَحْجَى بِأَنْ لَا يَضِيرُهَا

إِذَا النَّجْمُ أَضْحَى مَغْرِبَ الشَّمْسِ مَائِلاً وَكَمْ يَكُ بِالآفَاقِ بَوْنٌ يُنِيرُهَا[3]

وتتكرر صورة إكرام الضيف مرة ثانية بفقد الشمس في الشتاء عند الشاعر عمر بن قميئة، كما هو الحال في الصورة السابقة عند الشاعر حاتم الطائي، فالشمس في الشتاء

1- كعب بن سعيد الغنوي: شعره، تح: عبد الرحمان محمد الوصيفي، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط1، 1998م، ص126.(درأت: دفعت).

2- تأبط شرا: الديوان، تح: طلال حرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1996م، ص64.(بزني: سلبني وفجعني، غشوما: ظلوما، شامس: ذو شمس، القر: البرد).

3- حاتم الطائي: الديوان، دار صعب، بيروت، لبنان، د ط، 1980م، ص93.

لا تظهر، ويقبل عليهم الضيوف كالإبل التي ترد حوض الماء، فقومه كرماء يظهر كرمهم بشكل خاص مع غياب الشمس، حيث يبدأ الظلام ويبدأ السكون وتخف الحركة، ويأخذ الطقس بالبرودة، فيستقبل قومه الضيوف، وعندها يجد الشاعر مجالا للفخر وقد غابت الشمس وكان العرب يمتدحون بالكرم، وهم يرونه فرضا وواجبا وقت الضيق والبرد والشدة والقحط، فكانوا ينحرون ويطعمون حين تهب الصبا، وقد خصوا الصبا لأنها لا تهب إلا في البرد والجدب[1]، يقول عمرو:

بِودِّكَ مَا قَومِي عَلَى أَنْ تَرَكْتُهُم سُلَيْمَى إِذَا هَبَّتْ شِمَال وَرِيحُهَا

إِذَا النَّجْمُ أَمْسَى مَغْرِبَ الشَّمْسِ ذَائِبًا وَلَمْ يَكُ بَرْقٌ فِي السَّمَاءِ يُلِيحُهَا

وَغَابَ شُعَاعُ الشَّمْسِ فِي غَيْرِ جُلْبَةٍ وَلَا غُمْرَةٍ إِلَّا وَشِيكًا مُصُوحُهَا

وَهَاجَ عَمَاءُ مَقْشَعِرٌ كَأَنَّهُ نَقِيلَةُ نَعْلٍ بَانَ مِنْهَا سَرِيحُهَا

إِذَا أُعْدِمَ المَحْلُوبُ عَادَت عَلَيْهِم قُدُورٌ كَثِيرٌ فِي القِصَاعِ قَدِيحُهَا

يَثُوبُ إِلَيهَا كُلُّ ضَيفٍ وَجَانِبٍ كَمَا رَدَّدَ هدَاة القَلَاصِ نَضِيحُهَا[2]

كما ورد ذكر الشمس مقترنا بالخمر في مجال الفخر بمعاقرة الخمر وشربها، يصف الأعشى انعكاس أشعة الشمس في الخمر بقوله:

كَأَنَّ شُعَاعَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِيهَا إِذَا مَا فَتَّ عَنْ فِيهَا الخِتَامَا[3]

ثم يصف شربه للخمر مع أصحابه من قبل طلوع الشمس إلى مغيبها، فإذا غربت انطلقوا إلى الجواري المترفات النافيات للأحزان، فكان اجتماع المحبين ولقاؤهم يبدأ بغروب

1- الجبوري يحيى: الشعر الجاهلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 1997م، ص63.

2- عمرو بن قميئة: الديوان، تح: خليل ابراهيم العطية، دار صادر، بيروت، لبنان، ط2، 1994م، ص 33. (يليحها: يحملها على أن تلوح، جلبة: القطعة من الغيم، غمرة: الماء الكثير، عماء: السحاب المرتفع، نقيلة: رقعة، القصاع: الصحفة، القديح: المرق الذي يبقى أسفل القدر، يثوب: يقبل، جانب: غريب، دهداة القلاص: صغار الإبل، النضيح: الحوض).

3- الأعشى: الديوان، ص195.(قرن الشمس: أول شعاعها عند الشروق).

الشمس، وكأنه لا يحل لهم معاقرة الخمر إلا بعد غياب الشمس عن الوجود، هذا ما يصوره لنا الأعشى فيقول:

بِمَثَالِفِ أَصَانُوا مَالَهُم لِغِنَاءٍ وَلِلَّعِبِ وَأَدَّنْ

فَتَرَى إِبْرِيقَهُم مُسْتَرْعِفًا بِشُمُولٍ صُفِقَتْ مِنْ مَاءِ شَنْ

غَدْوةً حَتَّى يَمِيلُوا أُصُلًا مِثْلَ مَا مِيلَ بِأَصْحَابِ الوَسَنْ

ثُمَّ رَاحُو مَغْرِبَ الشَّمْسِ إِلَى قُطُفِ المَشْيِ قَلِيلَاتِ الحَزَنْ[1]

وتحدث الشعراء عن حر الصحراء وما ينتج عن ذلك من آثار وظواهر كظاهرة السراب، فنجد هذه الظاهرة في كلام الشاعر دريد بن الصمت عندما يذكر قوته مفتخرا بنفسه، ويبين أنه هو الرجل الذي يمكن أن يقطع الصحراء ليلا على ناقته، تلك الصحراء البرية المقفرة التي يظهر فيها السراب عندما تسطع الشمس بقوتها، ليكون حالها أشبه بالثوب الممزوج بالورس:

وَقَدْ أَجْتَازُ عَرْضَ الحُزْنِ لَيْلًا كَأَنَّ عَلَى تَنَائِفِه إِذَامَا

كَأَنَّ عَلَى تَنَائِفِه إِذَامًا أَضَاءَت شَمْسُهُ أَثْوَابَ وَرْسِ[2]

ويفخر أبو دؤيب الهذلي بالسير وقت الحر في طريق صعب وقد انتشر السراب أيضا فيقول:

مُسْتَوْقِدٌ فِي حَصَاهُ الشَمْسُ تَصْهَرُهُ كَأَنَّهُ عَجَمٌ بِالبِيدِ مَرْضُوحُ[3]

فيصف الهذلي حبات الحصى الصغيرة حين تفتت أو دقت وتكسرت من سير الناس عليها بنوى التمر المدقوق وذلك بسبب شدة الحر.

1- المصدر السابق: ص217.

2- صفدي مطاع: موسوعة الشعر العربي، تح: أحمد قدامة، شركة الخياط للكتب، بيروت، لبنان، د ط، 1974م، ص60.

3- أبو ذؤيب الهدلي: الديوان، تح: سهام المصري، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ص85. (تصهره: تذيبه، عجم: النوى، مرضوح: مدقوق).

ويقول مضرس بن ربعي في وصف الحر في الصيف:

يَلْمَاعَةٍ قَدْ صَادَفَ الصَّيْفُ مَاءَهَا وَفَاضَتْ عَلَيْهَا شَمْسُهُ وَحَرَائِرُهُ[1]

1- بنو أسد: ديوان أشعار الجاهليين والمخضرمين، تح: محمد علي دقة، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1999م، ص274.

الفصل الثانـي

دلالات الشمس

1. الشمس وأبعادها الدلالية.

2. دلالات الشمس عند الشعراء العباسيين.

- تجليات البنية الصوتية في العينات الشعرية المتضمنة للفضة "الشمس".
- دلالات الشمس.

1- الشمس و أبعادها الدلالية:

- **البعد الديني الميثولوجي:**

اشتمل الشعر كثيرا من الصور الشعرية ذات الأبعاد الدينية والنفسية والاجتماعية، تلك الأبعاد التي يستطيع دارس الشعر التعرف إليها، والغوص في آثارها، وتلمسها من خلال البحث والتقصي.

لقد حملت الشمس أبعاد متنوعة من خلال حديث الجاهليين عنها، ووصفها تلك الأوصاف ساعدت في كشف كثير من عقائد الجاهليين الذين عبدوها كسابقيهم من الأمم الأخرى.

حيث نظر الشاعر إلى الطبيعة من حوله بما فيها الشمس نظرة تمعن، لم تكن كنظرة أي إنسان عادي، مجردة من المعاني العميقة، بل متأملا فيها محاولا استكشاف الحقائق الكونية الكبرى والقضايا الوجودية، فوقف أمامها وقفة مهابة وخشوع، لكنه لم يكتف بذلك، بل سعى إلى إيجاد علاقة بين الشمس والإنسان، من خلال الربط والمقارنة بين حالات الشمس في تغيرها من ظهور وغياب، وبما فيها من تناقضات، وما يعترض الإنسان في حياته من تقلبات وأحوال متنوعة.

لعل السبب الكامن وراء ذلك هو خلق الإنسان ضعيفا، فهو دائم البحث واللجوء إلى من هو أقوى منه، حبا في الحياة وتجنبا لما هو مجهول، لذلك تنوعت الرموز الدينية والأسطورية عند الأمم القديمة، فلعبت الشمس دورا مهما في كشف معاني كثيرة، صعب فهمها على الدارسين، حتى عرفوا أهمية هذا الكوكب السماوي، الكوكب الذي ارتبط بالإنسان، الحيوان والجماد، وسار بين البشر في حياتهم ضمن تجارب عديدة معه، هذه التجربة لم تسع استحضار العظمة والعبرة، وتعميق المعنى الإيماني بقدر ما سعت إلى استجلاء معرفة قضايا الوجود الكبرى، فامتزجت التجربة بنظرة فلسفية عميقة، متجاوزة مجال الاعتبار.[1]

1- عبد الرحمان نصرت: الصورة الفنية، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، د ط، 1976م، ص115.

ففي البعد الميثولوجي أُلّهت الشمس عند العرب القدماء، وعدت أساسا في ثالوث مقدس احتل مكانة دينية رفيعة، واحتل القمر دور الأب، فسيطرت الشمس على أصحابها فترة زمنية طويلة، حتى بقيت آثارها حاضرة إلى يومنا هذا.

كان لعبادة سيدنا إبراهيم عليه السلام، تجلية واضحة أكدت عبادة هذا الكوكب عند القدماء وتأليهه، حيث قدسوه ورأوا أن في هذه الآلهة قوى وأثرا خطيرا في حياتهم، لهذا تبركوا بها وتقربوا إليها بالنذور والقرابين، واستمرت تلك العبادة فترة طويلة إلى أن جاء الشاعر الجاهلي الذي لم يهمل هذه الآلهة، بل خصص جزءا مهما من أشعاره للحديث عنها، ورسم لها رموزا متعددة أولها المرأة، التي أسبغ عليها أوصافا وألوانا كثيرة، فهي البيضاء تارة والصفراء تارة أخرى، فائقة الجمال، كالشمس والضبية وغيرها من الرموز، ترحل وتغادر الديار بكامل زينتها.

حيث مثلت المرأة للشاعر والقبيلة الجاهلية رمزا من رموز الشمس المعبودة، أصل سر الحياة والوجود والبقاء، إنها الأم الكبرى نفسها "أيستطيع شاعر في عصر وثني أن يشبه المرأة بما يعبد إلا إذا كانت المرأة في شعره غير ما تظن"[1]، لقد جسد الشاعر الجاهلي المرأة في رموز وصور حيوانية، باعتبارها نظائر مقدسة تحمل صفات الأنثى المثالية للربة الأم الكبرى للشمس.

ومثلت الضباء رمزا آخر من رموزها، فسعى الشاعر إلى ترسيخ هذه الرموز في الدهن الجاهلي، من خلال صور ميثولوجية، محاكيا رمزيتها في نماذج متألقة ضربت في أعماق عصره، مكرسا معاني الأمومة، فجاء الشاعر بـ "صورة مستمدة من عالم الطبيعة، في أوج خصوبتها وعطائها، فالعينان عينا (بقرة) مطفلة رمز الإخصاب تنظر بحنان إلى صغيرها، و (البقرة) حيوان مقدس ذو ملامح أسطورية والجيد جيد رئم"[2].

وفي حديث الشعراء عن حركة الكون ورحلة الدنيا وقف الشعراء عند المقدمة الطللية كثيرا، وصوروا رحيل المحبوبة عن الديار بأبهى صورها وحللها، وكأنها ذاهبة في عرس بهيج يحفه الأحباب، يقول الشاعر امرؤ القيس:

1- المرجع السابق.

2- عوض ريتا: بنية القصيدة الجاهلية، دار الأدب، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص204.

جَعَلْنَ حَوَايَا واقْتَعَدْنَ قَعَائِدَا	وحفَّفنَ من حَوكِ العِراقِ المُنمَّقِ
وفوقَ الحَوَايا غِزلَةُ وجَاذِر	تضمحنَ من مِسكٍ ذكي وزنبَقِ[1]

يطرح سؤال مهم، هل يهون على المحبوبة ترك الديار والوطن وترك ديار الحبيب وهي في فرح وسرور؟ إنها رحلة الحياة بعظمتها، رحلة الشمس التي تغيب كل مساء، والتي امتزج فيها الجمال الطبيعي بالجمال الأنثوي، يقول الدكتور نصرت عبد الرحمان: "إن رحلة المرأة في الشعر الجاهلي، هي رحلة الشمس كل يوم، ورحلتها في الصيف والخريف والشتاء والربيع".[2]

يتبين لدارس الشعر الجاهلي أن رحيل المرأة يؤدي بالديار إلى الموت والجدب والقحط، وغياب الخضرة، الذي يتبعه غياب للحيوان والإنسان، ألا يثبت ذلك أن مثل هذه الرحلة أكبر من رحلة امرأة بحد ذاتها، بل هي رحلة الكوكب الشمسي ورحيل المحبوبة هو رحيل الشمس عن الوجود، وبقاؤها يعني بقاء الشمس، واستمرار الحياة بقلبها النابض؟، إن لم تكن الرحلة كذلك، فإنها تخالف الواقع والأمر الطبيعي.

يبدو أن فكرة الشمس في الوقفة الطللية هي ما سلب عقل الشاعر الجاهلي عندما تذكر المحبوبة، فالمرأة والشمس شيئان متنادان في ضميره، يبكي الشاعر المرأة، ويبكي الطلل، أو رحيل المرأة وغياب الشمس، لذلك كانت وقفة الشاعر الجاهلي أمام الطلل وقفة تأمل في سر المرأة وفي سر الشمس ورحيلها، وفي سر الحياة الكونية، فوقف الشاعر على الأطلال واستوقف ودعا وتأمل.

كم اتجه الشاعر إلى ما اتجه إليه البشر من التأمل في مظاهر الطبيعة، بهدف الوصول إلى معرفة هذا الكون، فرأى الكوكب كله يتجه عادة من الشرق إلى الغرب فوق الطبيعة السحيقة، بوديانها وسهولها، وخضرتها وبصحراويتها، وجذب منازلها وأطلالها، كما رأى أن موكب الحبيبة لا يحط إلا في مكان تحيط به عيون الماء.[3]

1- امرؤ القيس: الديوان، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص133.

2- عبد الرحمان: الصورة الفنية، ص131.

3- ينظر: زهير بن أبي سلمى، شعره، ص80.

وعند الاقتراب من الغروب تعود الشمس بعد إنهاء يومها إلى الغرب، حيث عرف مكان غروب الشمس عند العرب بعين حمئة، وهو من خرافاتهم التي نسجوا حولها الكلام الكثير، وقاربت العرب بين الغرب والموت، فنرى أن "الغرب هو المكان الذي يقبل منه الموت في التصور الكنعاني".[1]

وبعد غروب الشمس يسود سكون نسبي في معظم الأرجاء، ويسجو الليل وكأن الحياة توقفت وحل الموت، فتسير الشمس وراء البحار، تركب سفينتها وتجري في غياهب العالم السفلي، إلى أن تعود في صبيحة اليوم التالي من الشرق، مكتسبة القوة والنشاط من جديد، كما رأى القدماء أن ذا القرنين بالغ في جريه وترحاله باحثا عن مكان غروب الشمس واختفائها، وهي القصة الواردة في القرآن الكريم، قال تعالى: "... **وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ**" الكهف، الآية 86.[2]

تتنوع صورة المرأة المشرقة والمنيرة التي أساسها الشمس، وهي تبرز صفاتها الجميلة لعاشقها عند الشعراء، فطرفة بن العبد يصور محبوبته تصويرا فنيا مبدعا، أساسه الشمس، فهو يعتمد على التضاد اللوني لإبراز صفات المحبوبة أو عناصر صورتها، فثغرها يجمع بين بياض الأسنان النوار، وبياض ضوء الشمس، وبين دكنة اللثة واسودادها، ووجهها يجمع بين بياض الشمس وشعرها الفاحم كعناقيد البرير، كل هذا بين خضرة الخميلة وزبرجد الحلي، فكأن الصورة مساحات لونية من الأبيض والأسود والأخضر، ولكن تضل الصورة في نهاية الأمر مشيرة إلى أصلها الديني، مصورة المرأة الشمس، أي المعبود الأم.[3]

قال طرفة:

وتَبسِمُ عَن أَلْمَى كأنَّ مُنوَّرًا	تَخَلَّل حُرَّ الرَّملِ دِعْصٍ له نَدِ
سَقَتهُ إيَاهُ الشَّمسِ إلا لِثَاتِهِ	أُسِفَ وَلَمْ تَكدِمْ عَلَيهِ بِإِثْمِدِ[4]

1- الديك إحسان: الهمة والصدى-صدى الروح في الشعر الجاهلي، مجلة النجاح للأبحاث/العلوم الإنسانية جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، د ط، 2001م، ص661.

2- سورة الكهف: الآية 86.

3- البطل: الصورة في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني هجري، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط3، 1983م، ص70-71

4- طرفة بن العبد: الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987م، ص20.

يتضح لنا من خلال أبيات طرفة السابقة أيضا أن الشاعر يوشك أن يقيم لنا تمثالا لامرأة بصورة جميلة، فنراه يركز على صورة الوجه، إذ يربطها مباشرة بالشمس التي تشبه وجه المحبوبة، لذا يعمد الشاعر إلى مقاربة بين وجه الإله ووجه المحبوبة، والشمس هي التي تمنح الأسنان، ليكون الشاعر قد لجأ إلى تشبيهها بنظائر مقدسة للشمس.

ويصف الشاعر عنترة بن شداد عشيقته بالإشراق والبهاء الجمالي الوضاء من خلال تشبيهها بالشمس، متخللا من نصه الشعري والبعد الديني لرسم صورة تجسد عبودية الشاعر الكاهن، فيذكر الشاعر الكاهن عبادة الإله الشمس مباشرة، فقد تم ذكر الفعل (سجدت) مقترنا بأداة الشرط والفعل (إذا طلعت)، فبطلوع هذه الآلهة يشع النور ويزول الظلام المخيم، ومن يستحق العبادة غير هذا الكوكب الذي لا يكل ولا يخفت، لقد سجد لهذه الآلهة لحظة شروقها، ثم عند الغروب أيضا، هذه العبادة التي كانت شائعة عند العرب قبل الإسلام، يقول الشاعر عنترة:

شَمسٌ إذا طَلَعَت سَجدتُ جلالةً	بِجَمَالِهَا وَجَلَا الظَلامُ طُلُوعُهَا[1]

تبدو صورة عنترة صورة مميزة تجمعت فيها كل مزايا الفن إذ أنها تقدم عالما روحيا خصبا، مليئا بالعمق تستند إلى تجربة ذاتية حية، وتشير لحظات الصبح والمساء عند الشاعر إلى بعد ديني جديد إلى لحظات التأمل في ساعتي الإصباح والإمساء.

كما يصف الشاعر النابغة هو الآخر حبيبته نُعمًا بأنها الشمس في جمالها وجلائها وسعدها، مختارا لها أجمل الصفات وأرقها، في هذه الصور الجمالية يؤكد الشاعر فيها قدسية المرأة التي استشفت هذه القيمة من خلال التشبيه بالكوكب المقدس(الشمس)، وكل مقدس معظم بلا شك، وبياض محبوبة الشاعر وجمالها من بياض الشمس وجمالها.

يقول النابغة:

بَيضَاءٌ كَالشَّمسِ وَافَتْ يَومَ أسعدهَا	لم تؤدِ أهلَا ولم تفحشُ على جارِ[2]

1- عنترة بن شداد: الديوان، ص251.

2- النابغة: الديوان، ص38.

- **البعد النفسي:**

يحمل الزمن في طياته كثيرا من الأحوال المتناقضة من خير وسعادة، من شؤم وتفاؤل وقسوة وليونة، وألم وأمل، إضافة إلى معان مختلفة، يمكن القول إن الشمس هي أساس تكون الزمن، واستمرار الحياة، فارتسمت صور كثيرة في ذهن الشاعر بشكل دائم، أخذ الشاعر يفكر في وجود هذا الكوكب، لكن حب الحياة والتفاؤل هما أساس الاستمرار في عيش مهدد بالموت في كل لحظة.

أثرت الشمس في حياة الإنسان تأثيرات مختلفة كغيرها من مظاهر الطبيعة، هذا الكوكب الذي قصد الشاعر به رموزا متعددة، وقد ذكرنا سابقا من بينها المحبوبة، ففي الليل ومع حلول الظلام تستطيع المحبوبة أن تتغلب على هذا الظلام، فتضفي جوا مريحا على الشاعر، لتخيم الألفة والسعادة، وتبث السكينة في نفسه، فوجب عليه الاستسلام أمام قوة سيطرت على نفسه، يقول عنترة:

كَم ليلةٍ عَانَقْتُ فيها غَادَةٌ	يَحيَا بها عند المَنامِ ضَجيعُهَا
شمسٌ إذا طلعت سجَدتُ جلالةٌ	لِجَمَالِهَا وجَلَا الضَّلامُ طُلُوعهَا[1]

كما يمكن أن يكون النهار مدعاة للأمل والفرح، فتحقق الشمس بظهورها حالة الخوف التي تلم بالشاعر، بعد أن كان قد شد إزاره للرحيل، حيث يصور الأعشى في موقع آخر كيف أمضى ليلته مرتحلا، وما لاقاه من عناء السفر والوحدة إلى أن أشرقت الشمس ولاح شعاعها في الأفق، فخفت لوعة الشاعر وهدأت قريحته، حيث يتبين التفريغ النفسي عند الشاعر من استخدامه الفعل (لاح) الذي يدل على انفراج وبزوغ من وسط الظلمة وكبت مر بهما، ويدل اجتماع حرفي (الألف) و (الحاء) على تفريغ لضغط يمر به الشاعر، فجاء نور الشمس مصدرا مهما من مصادر الراحة عنده، فيقول:

ولَيلٍ يقول القومُ من ظُلُمَاتِهِ	سواءٌ بصيرات العُيون وعُورُهَا
كأنَّ لنا منهُ بُيوت حَصِينَة	مُسُوحٌ أَعَالِيهَا وَسَاج كُسُورُهَا

1-عنترة بن شداد: الديوان، ص251.

تَجَاوزْتُهُ حتى مَضَى مُدْلَهَمُّهُ	وَلَاحَ من الشمسِ المضيئةِ نُورُهَا[1]

فأشعة الشمس الذهبية أساس مهم في بدء الحياة عند الشاعر، من خلال الحديث عن الحيوانات، وهي إعلان ولادة يوم جديد، مع التحرر من ظلام دامس محاط بالخوف، فبانتشار الأشعة المشرقة يتخلص العالم من سجن الظلام للانتقال إلى حياة مفعمة بالأمل.

ومن جانب آخر، رأت الخنساء هي الأخرى أن الشمس مصدر شؤم، فهي مبعث الحزن والتأسي، لفقد عزيز على قلبها، وتتذكر الخنساء مع كل فجر أخاها وكأن الشمس تعيد ذكريات مرت على الشاعرة، ومما يعزي نفس الشاعرة كثرة أولئك الباكين الذين يبكون على موتاهم، فالشاعرة في حالة بائسة دائمة البكاء والعويل، تسيطر عليها حالة من الحزن فتقول:

يُذَكِّرُنِي طُلوعُ الشَّمسِ صَخْرَا	وَأَذْكُرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ الشَّمسِ[2]

وتحرك الشمس مشاعر الإنسان والشاعر الجاهلي على السواء، الذين بين ضروب الصحاري، كما كان من الطبيعي أن تتأثر طبيعة نفس الكائن الحي من الحيوان والنبات بالذبول، والشعور بالملل من شدة حرارة الشمس، فيصف الشاعر جران العود ناقته بقوتها ليلا وبفتور حركتها نهارا عندما تكون الشمس في وسط السماء، فقد لجأ الشاعر إلى إبراز دور الشمس في نفس الحيوان، وكأن الشاعر على دراية بأحاسيسه ومشاعره، يبين الشاعر أثر الملل الذي يصاب به الحيوان والإحباط، فيقول:

حُمَّ المآقِي على تَهجِيجِ أَعْيُنِهَا	إذا سَمَوْنَ وفي الآذانِ تَأْلِيلُ
حتى إذا مَتَّعت والشمسُ حَامِيةٌ	مدَّتْ سَوالِفَها الصُّهْبِ الهَرَاجِيلُ[3]

تتجدد ذكريات المحبوبة في نفس العاشق ليلا مع غروب الشمس، ومن الممكن أن تتنوع العواطف والمشاعر بين البشر، فإذا ذكر الطفيل الغنوي أثر ظهور الشمس على

1- الأعشى: الديوان، ص70.

2- الخنساء وليلى الأخيلية: ديوان الباكيتين، تح: يوسف عيد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1992م، ص114.

3- جران العود: الديوان، رواية أبو سعيد السكري، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط3، 2000م، ص59.

محبوبته نهارا[1]، نجد أن حاتم الطائي يبين أثر غياب الشمس ورحيلها على نفسيته بعد أن رحلت محبوبته، وعلى عواطفه التي لا تكل، وتبقى في ثوران متجددة، ليبقى في لحظة توتر نفسي لما فيها من استعادة لذكريات عابرة أليمة يصعب نسيانها، وكأنها حفرت شوقا في قلبه، هذه المشاعر تتحرك في نفس الشاعر عندما تبدأ الشمس بالمغيب، كما يشعر الشاعر بفجوة ونقص شديدين، يبحث عن من يملأ له هذا الفراغ، الذي يعاني فيه من عطش الرؤية والوصال، في نفسية متعبة من بعد النوى وحرقة الفرقة التي تبدأ مع كل غياب، يبدأ فيها حاتم الطائي بتذكر الأطلال.[2]

ويعاني الأعشى من شدة الوجد لمحبوبته زينب، وهاج في نفسه العذاب والأحزان، وقد استعرت نار الفرقة في قلب الشاعر، وشكى البعد وألم الفراق، هذه الحالة التي أحس بها الشاعر أكثر بكثير مما كانت عليه بداية العاطفة اتجاه من عشق.[3]

وهذا امرؤ القيس هو الآخر يعاني من حالة نفسية مر بها في ليلة ماطرة، بعدما غارت الشمس، واحلولك الظلام فنزل إلى جوار فرسه القائم أسفل الوادي، وقد لفت الشاعر حالة من الهيبة والخوف من الظلام الموحش، نستشف من هذه الصورة وكأن الشاعر يعكس لنا في هذه الحالة ما يعانيه من ظروف صعبة ليصور لنا قصة حياته التي عاشها بين رخاء وترف في ظل حياة والده، وبين الحالة الصعبة التي ألمت به بعد مقتل والده، ولم يبقى إلى جانبه سوى فرسه كاتم أسراره، فعرف صديقه من عدوه، وكشفت له المصائب من مخادعيه.[4]

دلت العرب على الشمس بلونها الأبيض، مما يدل على إشراك الرمز المقدس والتجسد الكوكبي في صفة البياض، فالرّبة المثال (الشمس) بيضاء في نظر الشعراء كمحبوباتهم، والشمس والمرأة صنوان مقدسان متحدان في ضمير الشاعر، لذلك كانت وقفة الشاعر مع المرأة وقفة تأملية، واصف إياها في أجمل لحظاتها وأبهى صورها، حيث استخدم الشعراء

1- ينظر: طفيل الغنوي: الديوان، تح: محمد عبد القادر أحمد، دار الكتاب الجديد، مطابع معتوق الأخوان، بيروت، لبنان، د ط، 1962م، ص65.

2- ينظر: حاتم الطائي، الديوان، ص97.

3- ينظر: الأعشى: الديوان، ص14.

4- ينظر: امرأ القيس: الديوان: ص127.

اللون الأبيض للشمس من خلال وصفهم بشرة المحبوبة وأسنانها وثيابها، ففي هذا الجانب يقول طرفة:

بَدَلَتْهُ الشَّمْسُ من مَنبَتِهِ	بَرَدًا أبيضَ مَصْقُولَ الأُشُرْ
سَقَاهُ حُبِّي المُزْنِ فِي مُتَهَدَّلِ	مِنَ الشَّمْسِ رَوْاهُ رَبابا سَوَاجِمَا[1]

ويبين **النابغة** أن محبوبته بيضاء في لونها كلون الشمس، وقد أشرنا إلى ما يحمله اللون الأبيض من معان فيما سبق، من نقاء وجمال، حيث تستريح لها نفس الشاعر، وهو اللون الذي يتوق إليه والمفضل لديه، ليضفي على الشاعر شعورا مفعما بالفرح والإعجاب ولم يتوقف عند بيان هذا اللون بل أكد الشاعر ما يحمله هذا اللون من هدوء وارتياح، فربط بين هذا اللون وعدم الإيذاء للبشر، وبما يتضمنه من معاني السلام وعدم الفحش، حتى عدنا نرى أن هذا اللون يستخدم في عصرنا رمزا للسلام، فيقول:

بَيضَاءٌ كَالشَّمسِ وَافَتْ يَومَ أَسْعَدَهَا	لَمْ تُؤذِ أَهلًا وَلَمْ تُفْحِشْ عَلَى جَارِ[2]

كما سجل الشعراء ترف المحبوبة ومتعتها وليونتها، التي أساسها الشمس مانحة الوجه المضيء، هذا لم يكن ليدلل على نفسية متعبة، بل دوام الراحة والخلود وتواصل العيش الرغد، والحياة الهانئة السعيدة، وقد بني على هذه الصفات الحسية راحة نفسية، فهي ذات وجه مشرق لا يشوبه شائبة ويسر ناظره، ويبعد عنه الشك في بهائه، وتبعث الأمل لضجيعها، ويترك هذا التشبيه بالشمس وافتخار الشاعر بمحبوبته أثرا عميقا في نفس من يسمع هذا القول عند أبناء مجتمعه، مما يضفي واقعا متغيرا عما كان عليه المجتمع من قبل، والسير نحو قيم متميزة في نفس المحب، فهذه الصورة كصورة الشمس التي تشرق بهية في أجمل أحوالها بعد هطول المطر.

جاء حديث الخنساء عن اللون الأبيض على الصعيد الرجولي والقوة والشجاعة، ناهيك عن الكرم والشهرة، لكن عنترة من جانب آخر يصف نقاء اللون في الجانب الأنثوي، وكأن

1- طرفة: الديوان، ص41.

2- النابغة: الديوان، ص38.

الجمال يقتصر على النساء، لذلك حرم منه، فكان عبدا أسود ولم يصرح بهذا اللون، الذي اتصفت به محبوبته، وكأن هذا اللون قد خرج من بيئة الشاعر الطبيعية.[1]

يبين عنترة أيضا أثّر الظلام واللون الأسود في نفسه، محاولا التخلص منهما بشتى الوسائل، مع أن الليل أساس السكون والاضمحلال، إلا أن الشاعر جاء بكلمة (أسود) التي تحمل أبعادا دلالية مع ذكر الشمس، والسواد المرتبط بالتحول والجذب والموت، بينما يحارب الشاعر هذا التأثير محاولا التخلص منه وقد أشرنا إلى أن المرأة رمز الإشراق، فهي البديل عند غياب الشمس، من هنا يتبين لنا أن نفسية الشاعر لا تحب الظلام، وتتشاءم منه وتنفر لما يثيره من هموم وأحزان، بل تتوق شوقا للشمس وبدائلها، وكأن الشمس لا تريد أن يبقى الكون يخيم عليه الظلام، لتبقى متعة الحياة مستمرة بعيدا عن الذكريات المؤلمة، وعن الليل الكئيب.

كما تبدو نقمة عنترة على اللون الأسود وعلى الظلام وكأن الحياة كلها سوداء مظلمة، لأنه عبد أسود، لاقى من المجتمع الجفاء لسواده، حتى كان سببا عائقا في تزويجه من عبلة، فكان ناقما على السواد الذي يبدأ بغروب الشمس.

لقد كان اللونان الأبيض والأسود متناقضين، وهما مركز اهتمام الشعراء، فعنترة الذي عايش مرارة الحياة إضافة إلى لونه الأسود، حاول الجمع بين هذين اللونين، والإشارة إلى أن الحياة مزيج بينهما، مؤكدا على ضرورة مقاومة ضنك العيش وإثبات وجوده، كما لجأ إلى إدخال الشمس في الحوار لتُبدد الظلام وتضفي جوا من اللين.

1- ينظر: عنترة بن شداد: الديوان، ص215.

- **البعد الاجتماعي:**

نورد في هذا البعد ما تحمله بعض الجوانب من أبعاد على المستوى الاجتماعي وخاصة من يصور ويوصف باللون الأبيض أو الأصفر أو من يشبه بالشمس، فيمثل اللون الأبيض في البشرة عند المحبوبة بلون الرفعة والشرف و الارتقاء إلى مرتبة السادة والشرفاء، في حين نرى أن اللون الأسود يمثل لون العبيد، ولا جدال في أن الشعر الجاهلي يعد سجلا حافلا بالعديد من الدلالات الاجتماعية فقد حظيت الشمس كغيرها من عناصر الطبيعة بمكانة اجتماعية مهمة، من هنا كان من الطبيعي أن يوصف بها كل من حسنت صورته، وحظي باهتمام في المجتمع إذ من المتعارف عليه عرفا بين الناس أن من يشبه بالشمس لا خلاف في مكانته.

نجد من خلال تشبيه صورة الممدوح بالشمس أن هذا الكوكب قد اختير، أنموذج تشبيه مميز لمن شبه به، فكان الشاعر يلجأ إلى صورة الشمس ذات المكانة المرتفعة ليدل على مكانة صاحبه أو الملك أو الممدوح.

صور النابغة ممدوحه بالشمس[1]، للإشارة والدلالة على شرف ورفعة وسمو مكانة صاحبه، فهو يفوق سواه من أقرانه مرتبة ومكانة، ومثل هذه الأوصاف تحمل معنا عميقا يدل على سلطة صاحبها، وتمتعه بمكانة مرموقة بين أبناء عصره، وإلا لما استحق أن يوصف بمثل هذه الأوصاف.

وقد اكتسبت هذه الدلالة الاجتماعية من أصل ديني وهو أن الملوك كانت تأخذ منزلة الآلهة فتُؤله وتُعبد، فصاحب النابغة مشهور في أفعاله كالشمس مساوٍ لها في القيمة في مجتمعه ويؤكد قيمة الممدوح وعلاقته بالشمس قول أمية بن أبي الصلت[2]، فيشير إلى ممدوحه مرتفع حتى تساوى مع الشمس في المكانة، تلك المنزلة التي لا يصل إليها أحد، ولم يدانيه فيها أحد، تلك المكانة أهلته لأن يكون صاحب منزلة رفيعة.

1- ينظر: النابغة: الديوان، ص14.

2- ينظر: أمية بن أبي الصلت: الديوان، ص31.

فأمية يشير بوضوح أن من كان يحظى بقيمة مميزة كان في مكانة الشمس وارتفاعها، ومن ثم لا يستطيع أن ينافسه بشر في صفاته ومكانته، وبذلك يقلون منزلة عن ممدوح الشاعر.

لكن زهير بن أبي سلمى يبين أن ممدوحه يفوق الشمس، بل أشهر منها ويعلوها في شهرته وفي منزلته، ويكون بذلك قد بالغ في وصف صاحبه وبيان مكانته في المجتمع، حتى من يشبه بالشمس يبقى أقل منزلة من ممدوح الشاعر.[1]

يتكرر حديث الشعراء على أن الشمس هي أساس شرف البشر وأصالتهم، فمن كان أصله كالشمس أضحى في عز وسلطان، لا تشوبه شائبة، وفي ذلك إشارات واضحة إلى القبيلة التي ربما ينتمي إليها الشاعر، وأن كل شيء مرده إلى أصله، وهذا واضح عند كعب بن زهير[2].

ونجد أن المرأة المشبهة بالشمس قد حظيت بنصيب وافر مقارنة بالرجل الذي شبه بالشمس أيضا، فلم تكن المحبوبة التي شبهت بهذا الكوكب المنير بضوئها أمة أو جارية، بل هي من أهل شريف كريم، هذا واستخدم الشعراء اللون الأسود للدلالة على الإماء والجواري وعلى طبقة العبيد، ولم يقترن وصف المرأة باللون الأسود مع الشمس، بل وصفت المحبوبة بأنها بيضاء كالشمس، كما هي عند النابغة:

بَيضَاءٌ كَالشَّمسِ وَافَتْ يَوم أَسْعَدَهَا	لَمْ تُؤذِ أَهلًا وَلَمْ تُفْحِشْ عَلَى جَار[3]

إن وصف قيس للمرأة وتشبيهها باللون الأصفر، لم يقصد به الشاعر قيس بن الخطيم[4]، مجرد وصف لهذا اللون، لأن من يوصف بوجه أصفر هو الذي يعاني من آلام وضعف في البنية، لكن الشاعر يرفض مثل أن توصف محبوبته بهذه الصفات، وإنما جاء بهذا اللون في إشارة إلى الترف والنعيم الذي تتمتع به محبوبة الشاعر، ويدل أيضا على رائحة العطر والتزين وأنها لم تشاهد الشمس كثيرا.

1- ينظر، زهير بن أبي سلمى: شعره، ص82.

2- ينظر: كعب بن زهير: الديوان، تح: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987م، ص80.

3- النابغة: الديوان، ص38.

4- ينظر: قيس بن الخطيم: الديوان، تح: ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، 1967م، ص 57-58.

ويمكن استخدام الشمس للدلالة على إعجاب القبيلة وافتخارها بأبنائها للتدليل على كثرة أعداد القبيلة وأن هذه القبيلة متحدة، متعاونة في كل شؤون حياتها، فهي على الخير وعلى الشر تحت لواء واحد، كما يشار إلى أن هذه القبيلة منجابة حسنة النسل، يمتاز أفرادها بالشجاعة، لا يتقاعس أحدهم عن آداء واجبه، فكانوا يدعون بلملمة ألفيتهم يأتون من كل حدب وصوب، وفي ذلك يقول أمية بن أبي الصلت:

وَإِذَا دَعَوْتُهُمْ لِكُلِّ مَلَمَّةٍ	سَدُّو شُعَاعَ الشَّمْسِ بِالفُرْسَانِ[1]

وفي قول الشاعر مالك بن خالد الخناعي الذي يعتز بقوة ابن عمرو بن خزاعة وقد غزوا بني لحيان، ما يؤكد كرامة هذه القبيلة التي تدافع عما يشين سمعتها، فهذه القبيلة لا تدع لزمن المرور دون انتقام، فقبل أن ترتفع الشمس وقبل أن يسير الزمن لصالح الأعداء، ما تلبث قبيلة الشاعر إلا وتوقع الشرور بأعدائها، فيقول:

فَضَارَبَهُمْ قَوْمٌ كِرَامٌ أَعِزَّةٌ	بِكُلِّ خُفَافِ النَّصْلِ ذِي رُبَدٍ عَضبِ
فَمَا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّى كَأَنَّهُمْ	بِذَاتِ اللَّظَى خُشْبٌ تُجَرُّ إِلَى خُشَبِ[2]

1- أمية بن أبي الصلت: الديوان، ص68.

2- الهندليون: الديوان، الدار القومية للطباعة، القاهرة، مصر، د ط، 1965م، ص16.

2. دلالات الشمس عند الشعراء العباسيين:

يعتبر علم الدلالة من أحدث فروع اللسانيات الحديثة الذي يهتم "بدراسة المعنى"[1]، دراسة وصفية موضوعية، فقد كان أول استعمال له على يد اللساني : ميشال بريال" في مقاله الذي صدر عام 1883م، ثم فصل القول فيه في كتابه الموسوم "محاولة في علم الدلالة" وذلك سنة 1897م[2]، وهذا يعني أن علم الدلالة يختلف عن فروع اللسانيات الأخرى بدراسته للأدلة اللغوية، مع العلم أن هذه الأدلة اللغوية تختلف بحسب السياقات التي وردت فيها ومن أمثلة ذلك لفظة الشمس التي تتغير دلالتها من شاعر إلى آخر، وهو ما يجعل هناك علاقة بين اللفظ والصورة الذهنية، فعندما نقول كلمة "شمس" فأول ما يتبادر إلى أذهاننا هي صورة كوكب الشمس، وهذه هي الدلالة المعروفة لكلمة الشمس، لكن هذا يختلف عند الشعراء العباسيين، فمنهم من جعل الشمس دلالة على المرأة، ومنهم من جعلها دلالة على ممدوحه كالسلطان وغيره.

أي أن كلمة الشمس تثير في العقل البشري صورة ذهنية تشير إلى شيء ما حيث قسم اللغويون المعنى إلى ثلاث مكونات أساسية وهي على الشكل التالي:[3]

ففي الشعر العباسي مثلا: عند سماعك كلمة الشمس يتبادر إلى ذهنك كوكب الشمس، لكن تجد الشاعر يقصد شيئا آخر وهذا دليل على تغير الدلالات.

1- أحمد مختار عمر: علم الدلالة، دار الكتب، ط5، 1998م، ص15.

2- ينظر: أحمد مؤمن: اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، د ت، ص239.

3- إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مكتبة أنجلو المصرية، ط2، 1963م، ص7.

فالتحليل اللساني يحلل البنية اللغوية للنص عن طريق البحث عن الوحدات اللغوية، صوتا وكلمة وجملة، ثم يربط كل هذه الوحدات والأجزاء بالدلالة العامة التي يحملها النص "المراد تحليله"، وعليه يمكن القول بأن الهدف من تحليل النصوص هو إضاءتها وكشف أسرارها اللغوية، وتفسير نظام بنائها وطريقة تركيبها، وإدراك العلاقات فيها[1]، وهذا ما سنسعى إليه من خلال هذا الفصل، عن طريق اختيارنا لبعض الأبيات من الشعر العباسي كنموذج للتحليل، الذي يشمل المستويين الصوتي والدلالي.

1- فاروق شوشة: كلمة العدد، مجلة مجمع اللغة العربية، العدد 100، القاهرة، ص117.

- **تجليات البنية الصوتية في العينات الشعرية المتضمنة للفظة "الشمس":**

نعني بعلم الأصوات، ذلك العلم الذي يهتم بدراسة الأصوات اللغوية في اللغات البشرية المنطوقة، وإنما قلنا: الأصوات اللغوية لنخرج من حسابنا تلك الأصوات التي يصدرها الجهاز النطقي عند الإنسان وليست بأصوات لغوية كالصراخ والسعال والنحنحة.

ويتناول علم الأصوات العام دراسة أصوات الكلام في اللغات البشرية المنطوقة بطريقة عامة، فهو ينظر إلى الصوت اللغوي على أنه مجرد صوت يستوي في ذلك مع غيره من الأصوات الأخرى الموجودة في الطبيعة[1]، على غرار الكلام في الشعر، حيث يعد الشعر كلام موزون ذا أشكال لغوية، وتنتظم هذه الأشكال مجموعة من العلاقات للتعبير عن معان تدور في ذهن الشاعر، بحيث يسعى الشاعر إلى نقل هذه المعاني إلى السامع، ليحدث فيه تأثيرا فيتم التفاعل بينهما، ويلجأ الشاعر في نشاطه اللغوي إلى محاولات لتغيير أنساق الكلام وفق ما يقتضيه الوزن الشعري للقصيدة، وقد يضطر إلى مخالفة القواعد اللغوية، حفاظا على سلامة البناء الإيقاعي للبيت الشعري، فيلجأ إلى إضافة بعض الأصوات أو حذفها لأي معنى، إذا اقتضى ذلك البناء الإيقاعي للبيت الشعري[2].

ومما لا شك فيه أن المستوى الصوتي في القصيدة العربية له أهمية كبيرة، إذ هو أول وحدة لغوية مكونة لبنية القصيدة من ناحية، ومن ناحية ثانية يقوم الإيقاع في القصيدة بدور الموجه لحركة الدلالة، لأن هذه الأخيرة تتأثر بطبيعة حركة الإيقاع الداخلي والخارجي، ولعل المتأمل للعينات المراد مقاربتها مقاربة صوتية، والتي جاءت متضمنة لمفردة "الشمس"، يدرك أنها جاءت في سياقات صوتية متباينة بين الشعراء، بل هي المنجد الشعري لشاعر واحد بعينه، ولكي نستطيع أن نلم بمفاصل البنية الصوتية، لابد من الاعتماد على دراسة إحصائية للأبيات الشعرية، ومقاربتها –فيما يخص الإيقاع الخارجي (الوزن، القافية والروي) ثم محاولة تصنيفها تصنيفا يأخذ بعين الاعتبار التشكل الصوتي بين الأبيات، فيما يخص عناصر الإيقاع الخارجي، أما الإيقاع الداخلي (صفات الأصوات، الجناس والتكرار) فسنحاول من

1– يحيى بن علي بن يحيى المباركي: مدخل إلى علم الصوتيات العربي، خوارزم العلمية للنشر والتوزيع، د ط، د ت، ص13.

2– أحمد سالم بن حمد: المستوى الصوتي في الضرائر الشعرية، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2011م، ص13.

خلال هذه الدراسة تناوله بعد إحصاء تجلياته في الأبيات تناولا دلاليا محضا، من خلال علاقته بالتحولات الدلالية لمفردة "الشمس"، والتي تعد هي المتحكم والضابط لحركة الإيقاع في الأبيات:

أ. **الإيقاع الخارجي:**

ارتبط الإيقاع عند العرب بالموسيقى، حيث كان أحد الشعراء يضرب على آلة موسيقية اسمها الصنج، وذلك حتى يستقيم وزن البيت وتنتظم أبيات القصيدة بعد ذلك، والوزن هو وزن الشيء، ومنه تم أخذ كلمة الميزان في حال وزن الأحجام والأثقال، والوزن في الشعر هو المسار الأفقي في القصيدة، بينما نعتبر القافية المسار العمودي فيها، ويعتبر الوزن في القصيدة أهم الأسس الإيقاعية في البناء الهيكلي للنص الشعري.

إذ يتكون الوزن في البيت الشعري كما هو معروف من عدد معين من التفاعيل، تكون متساوية الإيقاعات والنغمات على طرفي القصيدة، حيث يعتبر العمود الفقري للقصيدة.[1]

قال المتنبي:

خَرِيدَةٌ لَو رَأَتْهَا الشَّمسُ مَا طَلَعَتْ وَلَوْ رَآهَا قَضِيبُ البَانِ لَمْ يُمْسِ[2]

- **التقطيع العروضي:**

خَرِيدَةٌ لَو رَأَتْهَا الشَّمسُ مَا طَلَعَتْ وَلَوْ رَآهَا قَضِيبُ البَانِ لَمْ يُمْسِ

خريدتن لو رأتها ششمس ما طلعت ولو رآها قضيب لبان لم يمسي

0//0//	0//0//	0//0/0//	0///	//0//	0//0//	0//0//	0/0//
متفعلن	فاعلن	مستفعلن	مفاعلن	فاعلن	متفعل	متفعلن	فاعل

1- جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: محمد جاد المولى وآخرون، المكتبة العصرية، بيروت، د ط، ج2، د ت، ص470.

2- المتنبي: الديوان، ص24.

البيت	الإيقاع الخارجي		
خَرِيدَةٌ لَو رَأَتْهَا الشَّمسُ مَا طَلَعَتْ وَلَوْ رَآهَا قَضِيبُ البَانِ لَمْ يُمْسِ	البحر	القافية	الروي
	البسيط	يمسي 0/0/	السين

وقال أيضا:

رَأَتْ وَجْهَ مَنْ أَهْوَى بِلَيْلِ عَوَادِلِي فَقُلْنَا نَرَى شَمْسًا وَمَا طَلَعَ الفَجْرُ [1]

رأت وجه من أهوى بليل عوادلي فقلنا نرى شمسن وما طلع لفجرو

0//0/ 0//0/0/ 0//0/// 0//0/0/ 0//0/0/// 0/0/0///

فعولن مفاعيلن فعول مفاعِلن فعولن مفاعلن فعول مفاعيلن

البيت	الإيقاع الخارجي		
رَأَتْ وَجْهَ مَنْ أَهْوَى بِلَيْلِ عَوَادِلِي فَقُلْنَا نَرَى شَمْسًا وَمَا طَلَعَ الفَجْرُ	البحر	القافية	الروي
	الطويل	فجرو 0/0/	الراء

وقال أيضا:

فَسِرْتُ وَقَدْ حَجَبْنَ الشَّمْسَ عَنِّي وَجِئْنَ مِنَ الضِّيَاءِ بِمَا كَفَانِي [2]

فسرت وقد حجبن ششمس عنني وجئن من ضضياء بما كفاني

0///0// 0/0/0/// 0/0/0/// 0//0// 0///0// 0/0///

مفاعلتن مفاعلتن فعولن مفاعلت مفاعلتن فعولن

1- المصدر السابق: ص97.

2- المتنبي: الديوان، ص541.

البيت	الإيقاع الخارجي		
فَسِرْتُ وَقَدْ حَجَبْنَ الشَّمْسَ عَنِّي وَجَبْن مِنَ الضِّيَاءِ بِمَا كَفَانِي	البحر	القافية	الروي
	الوافر	فاني 0/0/	الياء

قال ابن الرومي:

سُلَالَةُ نُورٍ لَيْسَ يُدْرِكُهُ اللَّمْسُ إِذَا مَا بَدَى أَغْضَى لَهُ البَدْرُ وَالشَّمْسُ[1]

سلالة نورن ليس يدركه للمس إذا ما بدى أغضا له لبدر وششمسو

0/0/0// 0/0/// 0/0/0// 0/0/// /0/0/// /0/// 0/0/0// //0//

مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيل فعول مفاعيلن فعول

البيت	الإيقاع الخارجي		
سُلَالَةُ نُورٍ لَيْسَ يُدْرِكُهُ اللَّمْسُ إِذَا مَا بَدَى أَغْضَى لَهُ البَدْرُ وَالشَّمْسُ	البحر	القافية	الروي
	الطويل	شمسو 0/0/	السين

وقال أيضا:

عَنْ وُجُوهٍ كَأَنَّهُنَّ شُمُوسٌ وَبُدُورٌ طَلَعْنَ غَبَّ سَحَابٍ[2]

عن وجوهن كأننهن شموسن وبدورن طلعن غبب سحابن

0/0/// 0//0// 0/0/// 0/0//0/

فعلاتن متفعلن فعلاتن فاعلاتن

1- إبن الرومي: الديوان، ج2، ص1207.

2- المصدر نفسه: ص488.

البيت	الإيقاع الخارجي		
	البحر	القافية	الروي
عَنْ وُجُوهٍ كَأَنَّهُنَّ شُمُوسٌ وَبُدُورٌ طَلَعْنَ غَبَّ سَحَابٍ	الخفيف	حابن 0/0/	الباء

وقال أيضا:

وَقَدْ رَنَّقَتْ شَمْسُ الأَصِيلِ وَنَفَّضَتْ عَلَى الأُفُقِ الغَرْبِيِّ وَرْسًا مُذَعْذَعَا[1]

وقد رننقت شمس لأصيل ونففضت على لأفق لغربيي ورسن مذعذعا

0//0/// 0/// 0/0/0/// //0// 0//0/// 0/// 0/0/0/// 0/0//

فعولن مفاعيلن فعول مفاعلن فعولن مفاعيلن فعلن مفاعلن

البيت	الإيقاع الخارجي		
	البحر	القافية	الروي
وَقَدْ رَنَّقَتْ شَمْسُ الأَصِيلِ وَنَفَّضَتْ عَلَى الأُفُقِ الغَرْبِيِّ وَرْسًا مُذَعْذَعَا	الطويل	ذعذعا 0//0/	العين

قال أبو تمام:

فَرَدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَ اللَّيْلُ رَاغِمُ بِشَمْسٍ لَهَا مِنْ جَانِبِ الخُدْرِ تَلْمَعُ[2]

فرددت علينا ششمس ولليل راغم بشمسن لها من جانب لخدر تلمعو

//0/// 0/0/// 0/0/0/// 0/0// 0//0/// 0/0/// 0/0/0/// 0/0//

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعل فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن

1- ابن الرومي: الديوان، ج2، ص338.

2- شرح الصولي: ج3، ص433.

البيت	الإيقاع الخارجي		
فَرَدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَ اللَّيْلُ رَاغِمُ بِشَمْسٍ لَهَا مِنْ جَانِبِ الخُدْرِ تَلْمَعُ	البحر	القافية	الروي
	الطويل	تلمعو 0//0/	العين

وقال أيضا:

تَرَيَا نَهَارًا مُشْمِسًا قَدْ شَابَهُ زَهْرُ الرُّبَا فَكَأَنَّمَا هُوَ مُقْمِرُ[1]

تريا نهارن مشمسن قد شابه زهر ربربا فكأننما هو مقمرو

0//0/// 0//0/// 0//0/0/ //0/0/ 0//0/0/ 0//0///

متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعل متفاعلن متفاعلن

البيت	الإيقاع الخارجي		
تَرَيَا نَهَارًا مُشْمِسًا قَدْ شَابَهُ زَهْرُ الرُّبَا فَكَأَنَّمَا هُوَ مُقْمِرُ	البحر	القافية	الروي
	الكامل	مقمرو 0//0/	الراء

نستنتج من خلال التقطيعات العروضية لعينة من الأبيات، والتي قمنا بها مسبقا:

أن البحر الطويل أكثر استخداما عند الشعراء.

البحر	التكرار
الطويل	4
الخفيف	1
الكامل	1
الوافر	1
البسيط	1

1- أبو تمام: الديوان، ص345.

ب. الإيقاع الداخلي:

هو عبارة عن أصوات نغمية تحدث داخل النص الشعري لا علاقة له لا بالوزن و لا القافية وإنما تعتمد على حسن التراكيب وجودة الألفاظ واستقامة وانسيابية الجمل الشعرية، وهي التي تدخل ضمن أبواب علم البديع بشقيها اللفظي والمعنوي.

إن الإيقاع كما هو معلوم مرتبط بالفن الموسيقي والألحان الغنائية، إلا أنه تم إدخاله إلى الشعر من خلال الإعتماد على الجانب اللغوي، وهو إيقاع أقل من إيقاع الوزن والقافية، لكن النص الشعري جيد لا غنى له عنه.

وهذا ما يؤكد اهتمام العرب والمسلمين الأوائل بالمحسنات اللفظية والمعنوية، حيث أولوا هذا الجانب جل اهتمامهم لأن القصيدة التي لا يوجد فيها إيقاع داخلي تقل أهميتها وتضعف فاعليتها.[1]

- **صفات الأصوات:**

الصفة لفظ يدل على معنى في موصوفه إما باعتبار محله أو باعتبار نفسه، وفائدتها تمييز الحروف المتشاركة في المخرج إذ لولاها لا تحدث، فالمخرج يبين كمية الحرف كالميزان، والصفة تبين كيفيته كالناقد.[2]

وفيما يلي جدول صفات الحروف –الروي الذي تحصلنا عليه من خلال تحليل الأبيات الشعرية– للعينات الشعرية التي تناولناها من قبل:

الروي	الصفة	التعليل
السين	مهموسة	سميت بذلك لجريان النفس معها عند اللفظ بها، لضعف الاعتماد على مخرجها.
	صفيرية	الصفير صوت زائد يصحب هذا الحرف عند خروجه
الراء	المتوسطة	لجريان الصوت معها جريا ضعيفا، أو التي جرى معها بعض الصوت وحبس بعضه.

1– عبد الملك مرتاض: قضايا الشعريات، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث أكاديمية الشعر، الإمارات، د ط، 2010م، ص38.

2– مصطفى بوعناني: في الصوتيات العربية والغربية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2010م، ص98.

الراء	المذلقة	لأنه يعتمد عليها بذلق اللسان، وهو طرفه وصدره وهي أخف الحروف على اللسان.
	الانحراف	لانحرافها عن مخرجها حتى تصل بمخرج غيرها (إلى الظهر)
	المكرر	وتكريرها ربوها في اللفظ لا إعادتها بعد قطعها، ولها قبول التكرار، لإرتعاد طرف اللسان عند النطق.
الياء	المبدلة	لأنها تبدل من غيرها، وليس البدل في هذا جاريا في كل شيء إنما هو موقوف على السماع.
	الزوائد	إدخالها على الكلمة بعد وضعها، أي بعد الحروف الأصول التي وضعت عليها.
الباء	الشدة	لأنه اشتد لزومها لموضعها وقويت فيه حتى حبس الصوت عند لفظها أي يجري معها لقوة الإعتماد عليها.
	المذلقة	لأنه يعتمد عليها بذلق اللسان، وهو طرفه وصدره وهي أخف الحروف على اللسان.
	الشفوية	تخرج من بين الشفتين ولا عمل لها في اللسان.
	المقلقلة	لتقلقل اللسان بها عند سكونها في الوقف وغيره، فتسمع لها نبرة.
الألف	الشدة	لأنه اشتد لزومها لموضعها وقويت فيه حتى حبس الصوت عند لفظها.
	الهاوي	لأنه راجع إلى الصوت الهاوي الذي بعد الفتحة، فيكون الفم فيه مفتوحا.
	الممال	وهو قابل للإمالة.
	المبدلة	لأنها تبدل من غيرها، وليس البدل فيها جاريا في كل شيء إنما هو موقوف على السماع.
العين	المتوسط	لجري الصوت معها جريا ضعيفا، أو التي جرى معها بعض الصوت وحبس بعضه.

- **دلالات الشمس:**

أثرت الشمس في حياة الإنسان تأثيرات مختلفة كغيرها من مظاهر الطبيعة، بل فاق تأثيرها تأثير القمر والنجوم والمطر، فللشمس تأثير يومي متجدد، ومع كل يوم متجدد يلمس البشر تأثيرا جديدا، حيث اتصفت بميزات تدل على سرها في الحياة، لتضيف آثارا نفسية تدل على الأمان والسير في حياة وادعة، والشمس حقيقة لا يمكن تجاهلها، فهي ذات تأثير بالغ في نفسية مضطربة مترددة حسب تأثيرات الطبيعة رغم ضعف صاحبها أمام مؤثرات الحياة، ومن هنا أخذ الشاعر يفكر في هذا الكوكب الذي لا غنى عنه، وفي سر الكون لنسج تلك المعاني في خيوط شعرية متقنة.

وتختلف وجهات نظر الشعراء حيال الشمس، واختلاف هذه الوجهات هو الذي يخلق لنا دلالات ومعان مختلفة تدور حول لفظة واحدة ألا وهي الشمس، هذا الكوكب الذي قصد به الشاعر رموزا متعددة وقد ذكرنا سابقا من بينها المحبوبة، حيث استخدم الشعراء الشمس كمعادل فني عن الجمال، ففي الليل ومع حلول الظلام تستطيع المحبوبة أن تتغلب على هذا الظلام، فإذا غابت الشمس فإن نور وجه المحبوبة يضيء الخدر في ظلمة الليل كأن الشمس قد ردت في غير وقتها، فتضفي جوا مريحا على الشاعر، لتخيم الألفة والسعادة، وتثبت السكينة في نفسه، يقول أبو تمام:

فَرَدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ بِشَمْسٍ لَهَا مِنْ جَانِبِ الخُدْرِ تَطْلُعُ

نَضَى ضَوْؤُهَا صَبْغَ الدُّجْنَةِ فَانْطَوَى لِبَهْجَتِهَا ثَوْبُ السَّمَاءِ المُجْزِعُ[1]

الشاعر	البيت	اللفظة	دلالتها
أبو تمام	فَرَدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ بِشَمْسٍ لَهَا مِنْ جَانِبِ الخُدْرِ تَطْلُعُ	الشمس	نور وجه المرأة

وكانت العرب تشبه الوجه الأبيض المليح بالشمس، وأجمل الوجوه من برز بين سواد شعر المرأة أو سواد شالها، فيقول:

1- شرح الصولي لديوان أبو تمام، ج2، ص433.

وَقَدْ سَوَّدَ الدِّيوَانُ بَعْضَ ثِيَابِهِ وَأَحْسَنُ مَا تُسْتَوْضَحُ الشَّمْسُ فِي الدَّجَنِ[1]

الشاعر	البيت	اللفظة	دلالتها
أبو تمام	وَقَدْ سَوَّدَ الدِّيوَانُ بَعْضَ ثِيَابِهِ وَأَحْسَنُ مَا تُسْتَوْضَحُ الشَّمْسِ فِي الدَّجَنِ	الشمس	الوجه الأبيض

لا يختلف الشعراء عن بعضهم البعض في وصفهم، فقد تكرر وصف المحبوبة عندهم باللون الأبيض، ومن بينهم الشاعر أبو نواس الذي يسبغ على محبوبته اللون الأبيض، وليس هذا وحسب بل هي كالشمس في بياضها، وقد اكتملت في أوصافها، فلا فرق بينها وبين الشمس، كما جاء في قوله:

عَنْ فَتَاةٍ كَأَنَّهَا حِينَ تَبْدُو طَلْعَةُ الشَّمْسِ فِي سَوَادِ الغُيُومِ[2]

الشاعر	البيت	اللفظة	دلالتها
أبو نواس	عَنْ فَتَاةٍ كَأَنَّهَا حِينَ تَبْدُو طَلْعَةُ الشَّمْسِ فِي سَوَادِ الغُيُومِ	الشمس	الوجه الأبيض

وتكررت صورة تشبيه الشمس بالمحبوبة عند الشاعر نفسه –أبو نواس– ولكن هنا تستبدل الشمس عند غيابها بالمحبوبة، فإذا غابت الشمس طلبت من المحبوبة أن تسد مكانها لتنير الكون، بدلا منها بجمالها وضيائها، فتبقى الحياة منيرة في عيون الشاعر فقال:

إِنْ غَابَتِ الشَّمْسُ أَسْتَضِيءُ بِوَجْهِهِ وَيُرَى مَكَانَ البَدْرِ حِينَ يَبِينُ[3]

الشاعر	البيت	اللفظة	دلالتها
أبو نواس	إِنْ غَابَتِ الشَّمْسُ أَسْتَضِيءُ بِوَجْهِهِ وَيُرَى مَكَانَ البَدْرِ حِينَ يَبِينُ	الشمس	نورالوجه

1– شرح الصولي: ج3، ص474.

2– أبو نواس: الديوان، ص466.

3– المصدر نفسه: ص539.

ويرسم لنا أبو تمام صورة أخرى للمحبوبة حيث غلب ضوء سناها وحسنها ضوء الشمس، فقال:

طَلَعَتْ طُلُوعَ الشَّمْسِ فِي طَرْفِ النَّوَى وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ بِطَرْفٍ حَسُودِ[1]

الشاعر	البيت	اللفظة	دلالتها
أبو تمام	طَلَعَت طُلُوعَ الشَّمْسِ فِي طَرْفِ النَّوَى وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ بِطَرْفٍ حَسُودِ	الشمس	نور الوجه

وفي نفس الصدد يقول أبو تمام متغزلا، واصفا وجه فتاة:

شَمْسُ دَجَنْ تَطَلَّعَتْ فِي قَضِيبٍ أَمَرَتْ عَيْنَهَا بِسَبْيِ القُلُوبِ
لَوْ تَحُلّ القِنَاعَ لِلشَّمْسِ والبَدْ رُ ضِيَاءٌ تُقْنِعُهَا بِغُرُوبِ[2]

الشاعر	البيت	اللفظة	دلالتها
أبو تمام	لَوْ تَحُلّ القِنَاعَ لِلشَّمْسِ والبَدْ رُ ضِيَاءٌ تَقَنَّعَا بِغُرُوبِ	الشمس	وجه المرأة

وفي إحدى قصائد المديح يصف خروجه مع من يحب، فيضيء وجهها وكأن الشمس لم تغب.

قَالَتْ وَقَدْ أَعْلَقَتْ كَفِّي كَفَّهَا جَلَا وَمَا كُلُّ حَلَالٍ بِطَيِّبِ
فَنَعَتْ مِنْ شَمْسٍ إِذَا حَجَبَتْ بَدَتْ مِنْ نُورِهَا فَكَأَنَّمَا لَم تَحْجُبِ[3]

الشاعر	البيت	اللفظة	دلالتها
أبو تمام	فَنَعَتْ مِنْ شَمْسٍ إِذَا حَجَبَتْ بَدَتْ مِنْ نُورِهَا فَكَأَنَّمَا لَم تَحْجُبِ	الشمس	نور وجه المحبوبة

1- شرح الصولي لديوان أبو تمام: ج1، ص502.
2- شرح الصولي: ج3، ص391.
3- شرح الصولي: ج1، ص217.

علما أن اللون الأبيض الذي كثر ذكره في تشبيهه المحبوبة لم يكن هكذا وحسب، وإنما هناك من الشعراء من ذكره ليدل على عفاف المرأة وشرفها، وهو ما يتجسد من خلال قول المتنبي:

بَيْضَاءُ تَطْمَعُ مَا تَحْتَ حُلَّتِهَا وَعَزُّ ذَلِكَ مَطْلُوبًا إِذَا طُلِبَا

كَأَنَّهَا الشَّمْسُ يُعْيِ كَفَّ قَابِضِهِ شُعَاعُهَا وَيَرَاهُ الطَّرَفُ مُقْتَرِبَا[1]

الشاعر	البيت	اللفظة	دلالتها
المتنبي	كَأَنَّهَا الشَّمْسُ يُعْيِ كَفَّ قَابِضِهِ شُعَاعُهَا وَيَرَاهُ الطَّرَفُ مُقْتَرِبَا	الشمس	عفة وكرامة المرأة

ولم تقتصر دلالة الشمس وربطها عند الشعراء بالمرأة فحسب، فهناك من جعل من الشمس دلالة على ممدوحه، وأتوا بأشعار بانت فيها المبالغة، فوصف الممدوح بكوكب الشمس، فكانت بذلك كلمة الشمس في أشعارهم تدل على ممدوحيهم.

فقال أبو تمام يمدح الخليفة الواثق بأنه كشمس الضحى وبدر تمام:

أَنَّا رَحَلْنَا وَاثِقِينَ بِوَاثِق بِالله شَمْسُ ضُحَى وَبَدرٌ تَمَام[2]

الشاعر	البيت	اللفظة	دلالتها
أبو تمام	أَنَّا رَحَلْنَا وَاثِقِينَ بِوَاثِق بِالله شَمْسُ ضُحَى وَبَدرٌ تَمَام	الشمس	الخليفة الواثق

وكثيرا ما كان أبو تمام يمدح قصائده ويصفها بصفات شتى، إذ أنها سريعة الإنتشار، فهي تطلع على كل بلد كما تطلع الشمس على ذلك البلد:

وَسَيَّارَة فِي الأَرْضِ لَيْسَ بِنَازِحٍ عَلَى وَخْدِهَا حُزْن سَحِيق وَلَا سَهْمِ

تَذُرَّ ذُرُورَ الشَّمْسِ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ وَتَمْضِي جُمُوحًا مَا يُرَدُّ لَهَا غَرْبُ[3]

1- المتنبي: الديوان، ص97.

2- شرح الصولي: ج1، ص393.

3- شرح الصولي: ج3، ص166.

الشاعر	البيت	اللفظة	دلالتها
أبو تمام	تَذُرَّ ذُرُورَ الشَّمْسِ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ وَتَمْضِي جُمُوحًا مَا يُرَدُّ لَهَا غَرْبُ	الشمس	القصيدة

والمكارم التي أقرها وسيرها ممدوحه هي الشمس:

إِنَّ ابْنَ طَوْق بن مَالِك مَلِك أَقَرَّ أَمْرُ المَكَارِمِ شَمْسُ[1]

ومن دلالات الشمس أيضا الطبيعة بفرعيها، الحية والصامتة، ويقصد بالطبيعة الحية ما اشتملت عليه من أصناف الحيوان ما عدا الإنسان، وهو ما تطرق إليه أبو تمام وهو يصف فرس أحد ممدوحيه الذي كانت صفرته تشبه النحاس، فتمتص صفرة لون الشمس عند غروبها، فقال:

ضَمَخَ مِنْ لَونِهِ فَجَاءَ كَأَنْ قَد كُسِفَتْ في أَدِيمِهِ الشَّمسُ[2]

الشاعر	البيت	اللفظة	دلالتها
أبو تمام	ضَمَخَ مِنْ لَونِهِ فَجَاءَ كَأَنْ قَد كُسِفَتْ في أَدِيمِهِ الشَّمسُ	صفرة الشمس	صفرة الفرس

وفي قصيدة أخرى يقيم مغازلة بين الغزالة –وهي كناية عن الشمس– والروض، فتفترش الأرض بالزرابي والدرانك، وكل ذلك بسبب السماء السحابة:

إِذَا غَازَلَ الرَّوضُ الغَزَالَة بشرَت زَرَابِي فِي أَكْنَافِهِم وَدَرَانِكُ[3]

الشاعر	البيت	اللفظة	دلالتها
أبو تمام	إِذَا غَازَلَ الرَّوضُ الغَزَالَة بشرَت زَرَابِي فِي أَكْنَافِهِم وَدَرَانِكُ	الغزالة	الشمس

وقال أيضا في تسمية الشمس غزالا:

1– شرح الصولي لديوان أبو تمام: ج3، ص642.

2– شرح الصولي: ج3، ص641.

3– شرح الصولي لديوان أبو تمام: ج2، ص402.

كَالخُطُوطِ فِي القَدِّ وَالغَزَالَةِ فِي البَهْجَةِ وَابْنُ الغَزَالِ فِي غَيْدِهِ[4]

الشاعر	البيت	اللفظة	دلالتها
أبو تمام	كَالخُطُوطِ فِي القَدِّ وَالغَزَالَةِ فِي البَهْجَةِ وَابْنُ الغَزَالِ فِي غَيْدِهِ	الغزال	الشمس

ويقصد بالطبيعة الصامتة مظاهرها ووجودها المتجسد في سهولها وبحارها وسمائها وبواديها وحدائقها وحقولها وما إلى ذلك، فها هو البحتري يصف بركة ماء وما كان يحيط بها من عناصر الطبيعة من شمس وغيرها، وهنا دلالة الشمس هي كوكب الشمس، فليس بالضرورة أن ذكر كلمة الشمس في الأشعار يراد بها دلالات أخرى كالمحبوبة وغيرها، فالمراد هنا بكلمة الشمس من خلال الأبيات التالية هي الشمس الكوكب:

تَنْصَبُّ فِيهَا وُفُودُ المَاءِ مُعَجَّلَةً كَالخَيْلِ خَارِجَةً مِنْ حَبْلِ مُجْرِيهَا

كَأَنَّمَا الفِضَّةُ البَيْضَاءُ سَائِلَةً مِنَ السَّبَائِكِ تَجْرِي فِي مَجَارِيهَا

وَحَاجِبُ الشَّمْسِ أَحْيَانًا يُضَاحِكُهَا وَرِيقُ الغَيْثِ أَحْيَانًا يُبَاكِيهَا

إِذَا عَلَتْهَا الصَّبَا أَبْدَت لَهَا حُبُكًا مِثْلَ الجَوَاشِنِ مَصْقُولًا حَوَاشِيهَا[1]

الشاعر	البيت	اللفظة	دلالتها
البحتري	وَحَاجِبُ الشَّمْسِ أَحْيَانًا يُضَاحِكُهَا وَرِيقُ الغَيْثِ أَحْيَانًا يُبَاكِيهَا	الشمس	كوكب الشمس

والمتنبي أيضا تطرق إلى وصف الربيع حيث كبرت الأزهار وتشعشعت أغصان الأشجار حتى كادت تحجب الشمس عن الأرض:

مَغَانِي الشَّعْبِ طِيبًا فِي المَغَانِي بِمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِنَ الزَّمَانِ

فَسِرْتُ وَقَدْ حَجَبْنَ الشَّمْسَ عَنِّي وَجِئْنَ مِنَ الضِّيَاءِ بِمَا كَفَانِي

4- المرجع السابق: ج2، ص410.

1- البحتري: الديوان، ص2418.

وَأَلْقَى الشَّرْقُ مِنْهَا فِي ثِيَابِي دَنَانِيرًا تَفِرُّ مِنَ البَنَانِ

لَهَا ثَمَرٌ تُشِيرُ إِلَيْكَ مِنْهُ بِأَشْرِبَةٍ وَقَفْنَ بِلَا أَوَانِ

وَأَمْوَاهٌ تَصِلُّ بِهَا حَصَاهَا صَلِيلَ الحَلْيِ فِي أَيْدِي الغَوَانِي[1]

ويقول مؤيد الدين الطغرائي:

حَوْلَ غَدِيرٍ مَاؤُهُ دَارِعٌ وَالأَرْضُ مِنْ رِقِّهِ حَاصِرَه

قَدْ رَكِبَ الخَضْرَاءُ فِيهِ فَمَنْ حَصْبَائِهِ أَنْجُمُهَا الزَّاهِرَه

وَالشَّمْسُ إِذَا حَادَتْهُ وَقْتَ الضُّحَى حَسْنَاءُ فِي مِرْآتِهَا نَاظِرَه[2]

فهو هنا شبه الشمس عندما تنعكس صورتها على الماء بالحسناء.

الشاعر	البيت	اللفظة	دلالتها
مؤيد الدين الطغرائي	وَالشَّمْسُ إِذَا حَادَتْهُ وَقْتَ الضُّحَى حَسْنَاءُ فِي مِرْآتِهَا نَاظِرَه	الشمس	كوكب الشمس

وعندما سئل شاعر عن وجهة سفره، هل هو إلى مطلع الشمس أي خرسان (شرق العراق)، يقول إلى مطلع جود.

يَقُولُ فِي قَوْمَسِ صَحْبِي وَقَدْ أَخَذَتْ مِنَ السَّرَى وَحَظَا المُهْرِيَةِ القُودِ

أَمَطْلَعَ الشَّمْسِ تَنْوِي أَنْ تَؤُومَ بْنَا فَقُلْتُ كَلَّا وَلَكِنْ مَطْلَعَ الجَودِ[3]

الشاعر	البيت	اللفظة	دلالتها
//	أَمَطْلَعَ الشَّمْسِ تَنْوِي أَنْ تَؤُومَ بْنَا فَقُلْتُ كَلَّا وَلَكِنْ مَطْلَعَ الجَودِ	الشمس	كوكب الشمس

1- المتنبي: الديوان، ص541-542.

2- علي بن ظافر الأزدي: غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات، ص50.

3- شرح الصولي: ج3، ص329.

كما قال أبو تمام في إحدى قصائده أنه لا يمكن معرفة فائدة الشمس حتى تغيب:

بَيَّنَ البينُ فَقدَهَا قَلَّمَا يَعْ رِفُ فَقْدَ الشَّمْسِ حَتَّى تَغِيبَا[1]

الشاعر	البيت	اللفظة	دلالتها
أبو تمام	بَيَّنَ البينُ فَقدَهَا قَلَّمَا يَعْ رِفُ فَقْدَ الشَّمْسِ حَتَّى تَغِيبَا	الشمس	كوكب الشمس

1- شرح الصولي: ج1، ص539.

الخاتمة

الخاتمة:

بعد أن فرغنا من كتابة هذا البحث الذي كان تحت موضوع "**توظيف لفظة الشمس في الشعر العربي وأبعادها الدلالية –نماذج مختارة من الشعر العباسي–**".

كان لزاما علينا أن نختمه باستعراض جوانبه المختلفة ملخصين ومبينين أهم ما توصلنا إليه من نتائج:

- بلغت النجوم منزلة عالية في مختلف العصور، ومن ثم تعلق بها الشعراء، فكانوا ينسبون إليها كل ما يحل بهم من خير وشر، يقرون بأثرها في حياتهم، كما تمحورت الديانات القديمة حول الإله الشمس، عبدتها ومجدتها، فتمتعت الشمس بمكانة مميزة عند الأمم القديمة رغم اختلاف حضاراتها.
- كان الشعر العباسي سجلا للحياة العربية في ذلك العصر، لذلك فهو حافل بكثير من الإضاءات والدلالات والرموز والصور، التي تبين مكانة الشمس وإن لم تكن مباشرة، حيث ظهرت صور واضحة للشمس عند الشعراء العباسيين من خلال تفاصيل صورتها المادية الواقعية المتنوعة، وعلاقتها بالإنسان والحيوان.
- بنى معظم الشعراء العباسيين صورة الشمس من خلال عناصر مختلفة تكتنف الحياة، فكانت المرأة أقوى هذه القواعد، تشكل الجوهر الفكري الذي يملأ تفكيرهم، فقد ربط الشعراء بين المرأة والشمس، مما جعلنا نتقبل صورة المرأة المثال في طهرها وعفتها، وجمالها وصفاء بشرتها، فهي بيضاء في الصباح وفي الضحى، مشرقة تنير الكون والحياة، لتمثل الشمس بعينها.
- كان تصوير الملك بالشمس في أشعار الشعراء بكثرة، فجاء حديث الشعراء عنهم في باب المدح، واصفين لشجاعتهم في الحرب وأثر الشمس عليهم في الصباح والظهيرة وعند المساء.
- نوّع الشعراء في رسم صورة الشمس وكانت صورهم مستمدة من واقع حياتهم، ممثلة بالعنصر الإنساني والحيواني والنباتي، كما صورت الشمس بصور عدة لونية تحمل معنى النقاء والصفاء متمثلة في اللون الأبيض وصور حسية ترمز إلى الكوكب الوجودي، وصور بصرية تبين أثر أشعة الشمس على البيئة.

الملخص:

تناولت هذه الدراسة الشمس في الشعر العربي بصفة عامة، وفي الشعر العباسي بصفة خاصة، بهدف استجلاء حقيقة دلالاتها وتوضيح معالمها المحددة، حيث كانت لهذه الأخيرة دلالات مختلفة عبر العصور، ونحن في بحثنا هذا ركزنا على العصر العباسي، إذ أنه وفي العصر الواحد اختلف الشعراء حول دلالات الشمس، لكن نحن قد نصبنا اهتمامنا حول المواضيع التي وردت فيها الشمس في أشعارهم دون التركيز على شاعر معين، إضافة إلى محاولة معرفة بعض النقاط التي تتفق بين شاعر وآخر في إظهار قضية بعينها، من خلال التعرف إلى رموز الشمس في الشعر العربي –الشعر العباسي– والمواضيع التي ركز فيها الشعراء على ذكر الشمس، كما هو مبين في حديث الشعراء عن المرأة وعلاقتها بالشمس ومعرفة دور هذا الكوكب من خلال أغراض الشعر بأشكالها المتنوعة، ثم وصفها وشبهها بالمرأة والممدوح في نفس الوقت، سواءً كان ملك أو غلام، وربطها بالطبيعة، والتعرف على ما تركته الشمس من أثر في نفوس الشعراء.

Résumé:

La présente porte sur le terme "soleil", (Echams) dans les poèmes arabes d'une façon générale, et plus particulièrement dans les poèmes abbassides, elle vise à mettre en évidence ses significations ainsi qu'an tracer les repères. Au fait, ce terme à acquis des significations diverses à travers l'histoire de la littérature. Cela étant dit : nous avons restreint cette étude à l'époque abbasides du fait que dans la même époque il 'avait en divergences entre les poètes dur les significations du terme « soleil ».

Ce pendant, nous avons orientée nos efforts à cerner les thématique dans les quelles se trouvaient ce terme sans considérer un poète déterminé. Nous avons par la suite tente d'identifier des points de convergence entre deux poètes, dans leurs tentatives à aborder un sujet déterminé.

Ce processus de résume a identifier les symboles du terme soleil au poème arabe comme il s'était avères dans les poèmes qui partaient sur la femme et sa relation avec le soleil, nous avons quant même essaye de connaitre le rôle de ce astre a travers les intentions de ce poèmes quel que soit ses formes, sa description et sa comparaison avec la femme et la personne voutée au même temps, qu'il soit un roi ou serviteur, aussi que sa relation avec la nature. Cette étude vise également à connaitre l'impact du terme soleil sur les esprits des poètes.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

- **المعاجم:**

1- إبراهيم أنيس: المعجم الوسيط، مصر، ط3، ج1، د ت.

2- الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء: مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دط، ج3، 2002م.

3- ابن منظور: لسان العرب، تح: خالد رشيد القاضي، دار الصبح وإديسوفت، بيروت، لبنان، ط1، ج7، 2006م.

- **الدواوين الشعرية:**

1- بنو أسد: الديوان، أشعار الجاهليين والمخضرمين، تح: محمد علي دقة، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1999م.

2-الأعشى: الديوان، تح: لجنة الدراسات في دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، دت.

3-امرؤ القيس: الديوان، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

4-أمية بن أبي الصلت: الديوان، المطبعة الوطنية، بيروت، لبنان، ط1، 1934م.

5-تأبط شرا: الديوان، إعداد: طلال حرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1996م.

6-أبو تمام: الديوان، تح: محي الدين الخياط، د ط، د ت.

7-جران العود: الديوان، رواية أبي سعيد السكري، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 2000م.

8-حاتم الطائي: الديوان، دار صعب، بيروت، لبنان، د ط، 1980م.

9-الخنساء وليلى الأخيلية: ديوان الباكيتين، تح: يوسف عيد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1992م.

10- ابن دريد: الديوان، تح: محمد بدر الدين العلوي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د ط، 1946م.

11- أبو دؤيب الهدلي: الديوان، تح: سهام المصري، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1998م.

12- ابن الرومي: الديوان، تح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002م.
13- الشواق قاسم: ديوان الأساطير، سومر وأكادو أشور، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1، 1997م.
14- الصنوبري: الديوان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1998م.
15- طرفة بن العبد: الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987م.
16- طفيل الغنوي: الديوان، تح: محمد عبد القادر أحمد، دار الكتاب الجديد، مطابع معتوق الأخوان، بيروت، لبنان، 1962م.
17- عمرو بن قميئة: الديوان، تح: خليل إبراهيم العطية، دار صادر، بيروت، لبنان، ط2، 1994م.
18- عنترة بن شداد: الديوان، تح: يوسف عيد، دار الجيل، بيروت، لبنان، د ط، د ت.
19- قيس بن الخطيم: الديوان، تح: نصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، 1967م.
20- كعب بن زهير: الديوان، تح: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987م.
21- المتنبي: الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، د ط، 1983م.
22- ابن المعتز: الديوان، دار صادر، بيروت، ط1، 2003م.
23- النابغة: الديوان، تح: سيف الدين كاتب وآخرون، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، دط، 1989م.
24- أبو نواس: الديوان، تح: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2002م.
25- الهذليون: الديوان، الدار القومية للطباعة القاهرة، مصر، د ط، 1965م.

- **الكتب:**

1- إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها بمصر، د ط، د ت.
2- إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مكتبة أنجلو المصرية، ط2، 1963م.
3- أجواد هتون: الحياة الإجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية، الرياض، السعودية، دط، 1993م.
4- أحمد بن عبد الوهاب النويري شهاب الدين: نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: مفيد قميحة وآخرون، دار الكتب العلمية، ط1، 2004م.
5- أحمد سالم بن حمد: المستوى الصوتي في الضرائر الشعرية، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2011م.
6- أحمد مختار عمر: علم الدلالة، دار الكتب، ط5، 1998م.
7- أحمد مومن: لسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، دت.
8- الإمام الحافظ عماد الدين ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت، لبنان، دط، د ت.
9- البطل: الصورة في الشعر العربي حتى نهاية القرن 2هـ، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط3، 1983م.
10- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر: الحيوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1. 1998م.
11- حسن حسين الحاج: الأسطورة عند العرب في الجاهلية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د ط، 1998م.
12- الحوت سليم: في طريق الميثولوجيا عند العرب، دار النهار، بيروت، لبنان، ط3، 1983م.
13- الحوراني يوسف: البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسطي الآسيوي القديم، دار النهار، بيروت، لبنان، د ط، 1978م.
14- الحيوري يحي: الشعر الجاهلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 1997م.
15- الديك إحسان: الهمة والصدى صدى الروح في الشعر الجاهلي، مجلة النجاح للأبحاث، نابلس، فلسطين، د ط، 2001م.

16- عبد الرحمان إبراهيم: الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د ط، 1980م.
17- عبد الرحمان نصرت: الصورة الفنية، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، د ط، 1976م.
18- عبد الرحيم عبد الرحمان بن أحمد أبو الفتح العباسي: معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، د ط، د ت.
19- رشيد علي حسين: شعر الطبيعة في العصر العباسي الثاني، مؤسسة الرسالة، دار عمار، بيروت، ط1، 1988م.
20- زهير بن أبي سلمى: شعره، تح: فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992م.
21- سالم السيد عبد العزيز: دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، مصر، د ط، د ت.
22- السيوطي: المستظرف، تح: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط2، 1976م.
23- شرح الصولي لديوان أبو تمام، تح: خلف رشيد نعمان، منشورات وزارة الإعلام الجمهورية العراقية، ط1، ج1، 1977م.
24- شرح الصولي لديوان أبو تمام، دار الرشيد للنصر، بغداد، ط1، ج3، 1989م.
25- شرح الصولي لديوان أبو تمام، دار الطليعة، بيروت، د ط، ج2، 1978م.
26- صفدي مطاع: موسوعة الشعر العربي، تح: أحمد قدامة، شركة الخياط للكتب، بيروت، لبنان، د ط، 1974م.
27- ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر، دار النهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة، د ط، 1956م.
28- الطعان عبد الرضا: الأبعاد المختلفة للفكر السياسي في العراق القديم، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د ط، د ت.
29- عباس بن ظافر الأزدي: غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات، تح: محمد زغلول سلام مصطفى الضاوي الجويني، دار المعارف، د ط، 1989م.
30- عز الدين إسماعيل: الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي، د ط، د ت.

31- عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار العودة، بيروت، ط2، 1972م.
32- عبد العظيم بن الواحد بن ظافر بن أبي الأصبع العدواني: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تح: حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة -المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، د ط، دت.
33- علوي الهاشمي: ما قالته النخلة للبحر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، د ت.
34- علي المفضل: في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملاين، بيروت، لبنان، ط3، د ت.
35- علي فاضل عبد الواحد: الشمس والقمر والزهرة في ضوء النصوص السومرية والبابلية، مجلة الأقلام، بغداد، العراق، د ط، 2000م.
36- علي فاضل عبد الواحد: عشتار ومأساة تموز، الأهالي للطباعة، دمشق، سوريا، ط1، 1999م.
37- عماد الأصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر، تح: أدرتاش أدرنوش، دار التونسية للنشر، د ط، ج1، 1971م.
38- عوض ريتا: بنية القصيدة الجاهلية، دار الأدب، بيروت، لبنان، د ط، د ت.
39- عيسى إبراهيم السعدي: الأدب العباسي بين القديم والحديث، أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2013م.
40- فاروق شوشة: كلمة العدد، مجلة مجمع اللغة العربية، العدد 100، القاهرة.
41- عبد الفتاح نافع: الشعر العباسي قضايا وظواهر، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2011م.
42- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تح: محمد شاكر أبو فهر، مكتبة الخانجي، ط1، 1991م.
43- كعب بن سعيد الغنوي: شعره، تح: عبد الرحمان محمد الوصيفي، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط1، 1998م.
44- لعريبي محمد: الديانات الوضعية المنقرضة، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1995م.

45- محمد أحمد بن طباطبا العلوي: عيار الشعر، تح: عبد الستار ونعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط2، 2005م.
46- مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د ط، د ت.
47- ابن المعتز: طبقات الشعراء، تح: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1970م.
48- عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي: الإعجاز والإيجاز، مكتبة القرآن، القاهرة، د ط، د ت.
49- الهاشمي طه عبد الواحد: تاريخ الأديان وفلسفتها، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، دط، 1963م.
50- هربرت ريد: تعريف الفن، تح: إبراهيم إمام، مصطفى رفيق الأرنؤوطي، مركز الشارقة للإبداع الفكري، د ط، د ت.
51- أبو الهلال العسكري: الصناعتين للكتابة والشعر، تح: علي محمد البحاوي محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 1952م.
52- أبو الهلال العسكري: ديوان المعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، ج1، 1994م.
53- يحي بن علي يحي المباركي: مدخل إلى علم الصوتيات العربي، خوارزم العلمية للنشر والتوزيع.

- **الرسائل الجامعية:**

1- كمال فواز أحمد سلمان: الشمس في الشعر الجاهلي، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2004م.
2- وضحا محمد عواد الحلاحلة: صورة المرأة في شعر العصر العباسي الثاني في العراق، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 1998م.

فهرس الموضوعات:

مقدمة..... أ. ب

مدخل..... 4

الفصل الأول:**الشمس في الموروث الإنساني القديم وورودها في الشعر العباسي**..... 8

المبحث الأول: الشمس في الموروث الإنساني..... 9

1- الشمس في الموروث الإنساني القديم..... 10

2- الشمس في الموروث العربي (الجاهلي)..... 15

المبحث الثاني: مواضيع ورود الشمس في الشعر العباسي..... 18

1. الشمس والمرأة..... 19
2. الشمس والطبيعة..... 24
3. الشمس وأغراض الشعر..... 29

- الشمس والتشبيه..... 29
- الشمس والمدح..... 38
- الشمس والفخر..... 41

الفصل الثاني: **دلالات الشمس**..... 45

1. الشمس وأبعادها الدلالية..... 46

- البعد الديني الميثولوجي..... 46
- البعد النفسي..... 51
- البعد الاجتماعي..... 56

2. دلالات الشمس عند الشعراء العباسيين..... 59

- تجليات البنية الصوتية في العينات الشعرية المتضمنة للفظة "الشمس"..... 61
- دلالات الشمس..... 69

خاتمة..... 78

ملخص..... 79

قائمة المصادر والمراجع..... 81

فهرس الموضوعات..... 87